المناضل

في سبيل الوحدة، الحرية والاشتراكية
المجلة الداخلية لحزب البعث العربي الاشتراكي

في هذا العدد

- مرتكزات مهمة لسياسة الحزب في مجال السلام ..
- صفحات من تاريخ الحزب
  – سنوات المخاض –
- الوحدة الوطنية أساس النظام السياسي في سورية ..
- حول رحيل بوش وقدوم كلينتون من يصنع السياسة الاميركية ؟
- قرار الابعاد في ميزان الشرعية الدولية ..

العدد ٢٥٨ كانون الثاني ـ شباط ١٩٩٣

المناضل

في سبيل الوحدة والحرية والاشتراكية

في هذا العدد

الموضوع	الصفحة
● **الافتتاحية**	٢
★ مرتكزات مهمة لسياسة الحزب في مجال السلام .	
الرفيق الدكتور فواز صباغ عضو القيادة القومية الاحتياط « رئيس هيئة التحرير »	
● **صفحات من تاريخ الحزب**	٦
★ سنوات المخاض ١٩٤٠ ــ ١٩٤٧ الحلقة الثالثة عشرة ..	
الرفيق : جورج صدقني	
● **دراسات سياسية**	٣٨
★ الوحدة الوطنية اساس النظام السياسي في سورية ..	
الرفيق : فايز عز الدين	
★ التفكير بصوت مرتفع	٤٦
حول رحيل بوش وقدوم كلينتون من يصنع السياسة الاميركية ؟ . .	
الرفيق : فوزي الجودة	
★ قرار الابعاد في ميزان الشرعية الدولية ..	٥٦
الرفيقة : ليلى محفوض	
● **نشاطات ووثائق**	٦٢

الافتتاحية

مرتكزات مهمّة لسياسة الحزب في مجال السّلام..

الرفيق الدكتور فواز صياغ
عضو القيادة القومية الاحتياط
رئيس هيئة التحرير

بعد تسلم الرئيس بيل كلينتون مقاليد السلطة في الولايات المتحدة الامريكية ، عادت المساعي الديلوماسية الى النشاط مجددا « لاقرار سلام دائم وعادل في الشرق الاوسط » ، وكما اعلنت الادارة الامريكية الجديدة أن من مهماتها الاولى عودة مفاوضات السلام العربية الاسرائيلية الى مسارها ، فان المهمة التي تواجه امريكا ورئيسها الجديد ليست سهلة اطلاقا اذا ما استمرت على مواقفها السابقة في التغاضي عما تفعله سلطات الاحتلال الصهيوني في الاراضي المحتلة ضد السكان العرب واضطهادهم ، والاستمرار في تشريد المبعدين منهم خارج حدود فلسطين . ان الولايات المتحدة بانتهاجها سياسة المكيالين لتطبيق القرارات الدولية ، ومعاملة اسرائيل معاملة خاصة جدا في هذا المجال ، لا تكون وسيطا نزيها ـ كما يفترض ـ فيما يتعلق بالصراع العربي الصهيوني ، وفي مفاوضات السلام ، التي ترعاها مع روسيا ، كما هو معروف حسب القرارات الدولية السابقة .

لقد اظهر العرب رغبة صادقة في السلام ، وقدموا لهذا الهدف كل ما يمكن تقديمه ، وسهلوا مهمة التفاوض الى ابعد الحدود حتى ليخيل للعالم ان العرب قد تنازلوا لاسرائيل عن مسائل جوهريه في تاريخ الصراع الطويل ، ولم تبد اسرائيل اي تسهيل لعملية السلام ، بل على العكس من ذلك فان ما قامت به حكومة اسحق رابين العمالية من الاعمال القمعية خلال عمرها القصير ، فاق مافعلته سابقتها حكومة الليكود التي كانت تظهر التشدد في مجال مفاوضات السلام في واشنطن ، فعشرات الشهداء من الشباب الفلسطينيين سقطوا خلال الاشهر القليلة الماضية ، ومئات الجرحى ، وعشرات المساكن المنسوفة ، والاحياء العربية التي تهدم بكاملها ومئات المبعدين في اقسى ظروف الطقس والحياة على الشريط الحدودي المحتل من لبنان ، كل ذلك ، مع استمرار الصمت والتغاضي وربما التبرير من جانب « الوسيط الأمريكي » يجعل العالم يضع الموقفين العربي والاسرائيلي في مجال المقارنة والمفارقة الكبيرة بين من « يسهّل » ومن « يعقد » الوصول الى سلام عادل ودائم في المنطقة .

لقد اظهرت سورية بشكل خاص امام وزير الخارجية الامريكية السيد وارن كريستوفر الذي زارها قبل نهاية هذا الشهر في جولته الاستطلاعية على المنطقة ، اظهرت رغبة حقيقية في استمرار العمل من أجل السلام ، واعادة تواصل المفاوضات العربية الاسرائيلية شريطة ان يقوم الجانب الاسرائيلي من جانبه بتسهيل تلك العملية والالتزام بالتطبيق الكامل لقرارات المجتمع الدولي ، لان من يرغب حقيقة في الوصول الى السلام عليه ان يظهر النوايا لذلك .

ان من يرغب بتطبيق قرارات مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، و ٣٣٨ القاضية باعادة الارض التي احتلت واقرار الحقوق المشروعة للشعب

العربي الفلسطيني والوصول الى سلام آمن الجميع اولى به ان يقوم بتطبيق القرار ٧٩٩ القاضي باعادة المبعدين الى ارضهم ، والا فكيف يمكنه الادعاء والتظاهر بالقبول بالقرار الاشمل الاعم (٢٤٢) دون تطبيق القرار الاقل والاخص (٧٩٩) .

ان السلام العادل والشامل حسب فهمنا هو السلام الذي يشمل الجميع بنعمته ويحقق الامن لكافة الاطراف . ونعتقد ان قرارات الامم المتحدة ذات الصلة في هذا الخصوص جميعها تحقق ذلك وليس جزءا منها او بعضها ، فهي « كل متكامل » اذا اخترق ايا منها او رفض بعضها فان السلام ان يكون عادلا وشاملا ، وهذا ماتحاول سورية بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي وامينه العام تجنبه ، وهذا دائما ماتركز عليه السياسة السورية لاعادة المفاوضات ، وهو ما تم ايضاحه للولايات المتحدة الامريكية والعالم الذي يهمه عملية السلام في منطقتنا .

صفحات من تاريخ الحزب

سنوات المخاض

١٩٤٠ ـ ١٩٤٧

الحلقة الثالثة عشرة

الرفيق : جورج صدقني

نواصل الحديث في هذه الحلقة عن علاقات (البعث) بالاحزاب السياسية الاخرى في المرحلة الواقعة بين نيسان ١٩٤٥ ونيسان ١٩٤٧ :

د / ٢ ـ (البعث) والحزب الشيوعي السوري

يقول الدكتور مدحة البيطار ، وهو احد القادة البارزين في حزب (البعث العربي) في الاربعينات ، عن علاقات (البعث) بالحزب الشيوعي السوري في تلك المرحلة : « لم يكن هناك اعداء للحزب ، بالمعنى الذي حصل فيما بعد ، لان **العدو الوحيد للحزب في ذلك الوقت كان الحزب الشيوعي** . طبعا كان هناك حركة **الاخوان المسلمين** ، ولكن ما كانت هناك عداوة ، وانما منافسة قوية بيننا وبين حركة الاخوان المسلمين ، وهي ما كانت حزبا ، بالاصل كانت عبارة عن حركة شبه دينية ، وانما كانت تتدخل في السياسة وتصدر بيانات . **اما الحزب الشيوعي فهو الحزب الوحيد ، الذي كان بيننا وبينه عداء** ، بالاضافة الى الدولة ، التي ما كانت ترغب في قيام حزب آخر ، وبالاخص حزبنا ، الذي كان يناهضها ويعارضها » (١) .

لقد رأينا ، في حلقات سابقة ، ان حزب (البعث العربي) كان

يقف موقفا معاديا من الحزب الشيوعي السوري على الصعيد العقائدي ، في النصف الاول من الاربعينات ، واثبتنا ، بنصوص الوثائق ، ان الحزبين (البعث والشيوعي) كانا على طرفي نقيض ، من الوجهة النظرية . فلا جديد في علاقة العداء بين الحزبين ، التي تحدث عنها الدكتور مدحة البيطار آنفا ، ذلك ان العداء موجود منذ المرحلة السابقة ، والجديد الوحيد في هذا المجال هو ان العداء بين الحزبين قد تفاقم ، وبلغ ذروة من العنف لم يبلغها من قبل ولا من بعد . فلنتوقف قليلا ، وندع الوثائق تتكلم ، قبل ان نتابع تردي العلاقات بين الحزبين ، ونعرض تفاصيل المعارك ، التي نشبت بينهما ، والتي لانستبعد ان تثير العجب في نفوس الذين لم يطلعوا عليها ، او الذين لم يشهدوا في حياتهم بين الحزبين الا علاقات ايجابية ، تتدرج ـ بحسب تغير الظروف ـ من التوافق في المواقف السياسية ، الى التضامن ، وتصل الى حد التحالف في جبهة واحدة . فالى الوثائق !

د/٢/ الف ـ بيان ١١ ايار ١٩٤٥ : لعل خير وثيقة تصور مدى عمق التناقض بين (البعث العربي) والحزب الشيوعي السوري ، ومدى استفحال العداوة بينهما ، هي البيان الذي اصدره حزب البعث العربي في ١١ ايار ١٩٤٥ ، بتوقيع الدكتور مدحة البيطار ، وبعنوان (**الحزب الشيوعي دعامة الشعوبية وداعية الاجنبي**) . وهذا نصه الكامل (٢) :

« ان مكتب البعث العربي ، الذي لم يفتر ، منذ سنين ، عن **مكافحة الخطر الشيوعي** ، وتحذير الشعب العربي منه بالنشرات والاجتماعات ، يرى من واجبه ان يهيب بعرب سورية ، مرة اخرى ، لينتبهوا الى هذا **الشكل الجديد من الاستعمار** ، الذي يخفي وراءه تآمر العناصر والطوائف الحاقدة على العروبة ، فيجمعوا كلمتهم **للقضاء على هذا الخطر** ، قبل ان يفوت الوقت ، ويتمكن الحزب الشيوعي من تسميم الروح العربية ، وتقطيع اوصال الكيان العربي ، فيتحقق هكذا ما يضمره **الاعاجم** ويبيتونه لامتنا منذ القديم .

« وليس امام الشعب **لمكافحة الخطر الشيوعي** الا ان يعتمد على نفسه ، وعلى تنظيمه القومي المتين ، لان **الفئة الحاكمة** ليس فيها من يغار غيرة صادقة على المصلحة العربية وسلامة العقيدة القومية ، وهي لا تتورع عن التضحية بمستقبل العرب في سبيل نجاحها

وبقائها في الحكم . لذلك كانت **اكبر مشجع للحزب الشيوعي** على التوسع والانتشار ، لانه **ايدها في سياسة التخاذل أمام الافرنسيين**، **وفي محاربتها للوحدة العربية** ، **وامتهانها للحريات الدستورية** ، **واضطهادها لرجال العرب الاحرار** .

« ان الانتصارات الروسية تحرك في نفوس شراذم الشعوبية احقادا دفينة . فيقدمون على تحدي الشعور العربي في مدينة دمشق . **ويحتفلون بانتصارات الاجانب** ، في اجتماعات تنتهي بمظاهرات تنشد فيها الاناشيد الارمنية ، ويطلق بعض الارمن الرصاص على مواطن عربي ، ويطعنون آخر بمدية . كما يتآمر نفر من **الاعاجم** ، بينهم **المجرم** شفيق بكداش ، اخو **القاتل** طلعت بكداش ، اخو **المجرم** خالد بكداش ، فينهالون بالضرب على شاب عربي ، ويجرحونه جرحا بليغا في راسه .

« ليس تاريخ الحزب الشيوعي في سورية مشحونا بالجرائم الشخصية فحسب ، بل انه سلسلة من الجرائم والجنايات العامة : لقد كان الحزب الشيوعي الوحيد الذي تجرا على **الدعوة الصريحة الى مصادقة الشعوب الاستعمارية** ، والتفاني في حبها وخدمتها ، وتقديس ابطالها ومبادئها وانتصاراتها ، كل ذلك بحجة التساوي بين الامم ، وباختلاق تفريق كاذب بين الحكومة الاستعمارية وبين شعبها ، الذي يعتبره الشيوعيون بريئا من وزر الاستعمار . وهكذا اقدم الشيوعيون على اشياء لم يجرؤ عليها احط الرجعيين والخونة من صنائع الاجنبي . فاخذوا **يحتفلون باعياد فرنسا القومية** (**عيد ١٤ تموز**) على ارض سورية العربية ، التي لم تجف تربتها بعد من الدماء ، التي سفكها فيها الطغيان الافرنسي المجرم .

« الحزب الشيوعي هو احدث اسلوب **لتكتيل الاقليات العنصرية والطائفية** ، **في جبهة موحدة مع الاستعمار الاوروبي ضد القومية العربية** . والحزب الشيوعي هو انجع آلة لدعم الظلم . وخنق الحرية ، وطمس الحق ، باسم مبادىء الحق والعدل والحرية . اذ ليس من جماعة تستسهل **الكذب والوقاحة** ، وتقلب الحقائق ، وتعتد بالاباطيل كهذه الفئة : **تعيش من أموال الاجانب** منذ ان وجدت ، وهي لا تزال (حتى هذه الساعة !) تتهم احرار العرب بانهم **ماجورون لهتلر** . تسكت عن ابشع صور الاستبداد ، وتحالف الطبقات المستثمرة لجهود الشعب ، ولكنها ، مع ذلك ، تدعي الديمقراطية والصفة الشعبية . هي مجبولة على حب الطغيان،

وعبادة الاصنام ، وقتل حرية الراي ، وفرض رايها بالعنف واساليب الشقاوة ، ولكنها لاتزال **تصم غيرها بالرجعية والدكتاتورية** .

« ان صلاح الدين البيطار هو الذي سجن ، اول مرة لانه فضح تلاعب الحكومة بحقوق البلاد ، وسرقاتها لقوت الملايين من افراد الشعب . . وصلاح الدين البيطار سجن مرة ثانية ، وعذب ، ونفي ، ولا يزال منفيا حتى الآن ، لأنه دافع عن الدستور وسلامة الحكم الدستوري ، بينما كان **الشعوبيون الجبناء** يؤيدون الاستعمار، ويحالفون الطغيان .

« ايها العرب : افهموا هذه الفئة **الشعوبية** » في وقت فخرها واعتدادها بانتصارات الاجنبي وقوة سلاحه ، ان الامة العربية لن تفخر بغير امجادها وابطالها ، ولن تؤمن بغير عبقريتها ، ولن تنتظر الخير والحق والفلاح الا من نفسها ، ومن ابنائها الخلص ، ومن وحي تاريخها ورسالتها الخالدة .

« قولوا **لشراذم الشعوبيين الأعاجم** ان الروح العربية ، التي يستخفون بها ، قد صفعتهم ثلاث صفعات في اسبوعين : فارغمتهم على ابطال حفلتهم في الجامعة السورية [جامعة دمشق الآن] التي كانوا **يرصدون ريعها للجيش الاحمر** ، واظهرت لهم في يوم اول ايار ان كلمة واحدة ، يقولها عربي مخلص ، كافية لكي تهدم ما يبنيه الشيوعيون في عشرات السنين ، ثم الجأت الطلاب المخدوعين بهم في مدرسة التجهيز [ثانوية جودة الهاشمي الآن] ومدرسة الصنائع الى الفرار والتواري .

« ايها الشعب العربي : تهيأ للقضاء على هذا **الحزب الاجنبي** ، واعد لافراده مايستحقه **الخونة والجواسيس** من عقاب ، ولا تنس ان تحاسب الفئة الحاكمة ، التي فسحت لهؤلاء مجال **التجسس والخيانة** .

« دمشق ، ١١ ايار ١٩٤٥ — عن مكتب البعث العربي
الدكتور مدحة البيطار »

د/٢/باء — وقفة قصيرة مع البيان : لا ريب في ان بيان ١١ ايار ١٩٤٥ جدير بأن يلفت نظر القارىء من جوانب عديدة ، ولا مراء في انه يثير في الذهن ملاحظات متنوعة ، لعل اهمها ما نورده في النقاط التالية :

١ — لا نعتقد اننا نجانب الصواب اذا قلنا ان هذا البيان

عنيف ، ان لم نقل انه عنيف جدا ، بل لقد بلغ من العنف حده الاقصى ، وبوسعنا ان نؤكد اننا لم نعثر في تاريخ العلاقات بين (البعث) و (الشيوعي) على اية وثيقة تفوق هذا البيان سلبية وعنفا .

٢ – استخدم البيان في هجومه العنيف على الشيوعيين وعلى قادتهم مفردات واوصافا هي أقرب الى لغة السباب والشتائم . من هذه المفردات : « شراذم » و « الاعاجم » و « المجرم » و « القاتل » و « الكذب والوقاحة » و « الجبناء » و « الخونة والجواسيس » .

٣ – وردت في البيان عبارات ، مثل « الخطر الشيوعي » و «مكافحةالخطر الشيوعي» ، كانت – حتى ذلك الحين – وقفا على الحكومات الراسمالية والاقطاعية والرجعية ، وتبنى البيان الدعوة الى مكافحة هذا الخطر ، واهاب بالشعب العربي ان يعد العدة للقضاء عليه ، ونبه عرب سورية « الى هذا الشكل الجديد من الاستعمار » .

٤ – فضلا عن ذلك ، يصم البيان الشيوعيين بوصمات عديدة. فمنذ العنوان يصم البيان الحزب الشيوعي بانه « دعامة الشعوبية وداعية الاجنبي » ، ويردد هذه الوصمة في ثنايا البيان اكثر من مرة. ويصمهم البيان ايضا بانهم فئة « تعيش من اموال الاجانب منذ ان وجدت » و « تسكت عن ابشع صور الاستبداد ، وتحالف الطبقات المستثمرة لجهود الشعب » ، و « هي مجبولة على حب الطغيان ، وعبادة الاصنام ، وقتل حرية الراي ، وفرض رايها بالعنف واساليب الشقاوة » . كما يصمهم بانهم « يؤيدون الاستعمار ، ويحالفون الطغيان » . فلاعجب ، بعد هذا كله أن يصم البيان الحزب الشيوعي بانه « احدث اسلوب لتكتيل الاقليات العنصرية والطائفية ، في جبهة موحدة مع الاستعمار الاوروبي ضد القومية العربية » ، وبأنه « انجع آلة لدعم الظلم ، وخنق الحرية ، وطمس الحق ، باسم مبادىء الحق والعدل والحرية » . ولاعجب ايضا ، بعد هذا كله ، ان يرى البيان تاريخ الحزب الشيوعي « مشحونا بالجرائم الشخصية » ، ويرى انه « سلسلة من الجرائم والجنايات العامة » .

٥ – في ثنايا البيان مايوحي بأن الشيوعيين كانوا هم البادئين بسياسة « الوصم » في مواجهة (البعث) وقادته ، ويوحي بالتالي

بان البيان لايعدو كونه نوعا من (رد الفعل) على تلك السياسة ، التي انتهجها الشيوعيون . ودليلنا على ذلك امران :

□ الاول ان البيان يصف الشيوعيين بأنهم فئة « لاتزال (حتى هذه الساعة !) تتهم احرار العرب بانهم ماجورون لهتلر » و « تصم غيرها بالرجعية والدكتاتورية » . ولامراء في ان كاتب البيان كان يدرج قادة (البعث) في عداد « احرار العرب » ، الذين وصمهم الشيوعيون بهذه التهم الظالمة » .

□ الثاني ان البيان ينتقل فجاة في موضع معين الى الاشادة بصلاح الدين البيطار ، دون مناسبة ظاهرة ، ويخصه بفقرة كاملة يبرز فيها معارضته للحكومة ، ودفاعه عن الدستور وسلامة الحكم الدستوري . فلابد ان يكون هذا « الثناء » على صلاح الدين البيطار ، الذي جاء بلا مناسبة ، نوعا من الدفاع عنه ، لدفع اتهامات معينة وجهها الشيوعيون اليه . ومما يؤكد هذا التفسير ، الذي ذهبنا اليه ، ان فقرة « المديح » هذه ، بعد ان تنتهي من كيل الاطراء للبيطار ، تختتم ، فورا بعد ذلك ، بجملة تصور فيها الشيوعيين في حالة هي نقيض حالة البيطار ، فتقول : « بينما كان الشيوعيون الجبناء يؤيدون الاستعمار ويحالفون الطغيان » .

٦ – وبصرف النظر عن اسلوب « الوصم » وما شابهه ، فان البيان يوجه الى الحزب الشيوعي السوري تهما معينة ، ليست من قبيل القذف او الوصم ، وانما هي وقائع وتصرفات محددة ينسبها الى هذا الحزب ، وتشكل بحد ذاتها – في حال صحتها – ادانة كاملة للشيوعيين السوريين ولحزبهم . ونورد مايلي تعدادا للوقائع التي ينسبها البيان الى الشيوعيين السوريين :

□ الاحتفال بانتصارات الاجانب (اي انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية) ، وهذا يعني ، في جملة مايعني ، الاحتفال بانتصار الفرنسيين (الذين كانوا في صف الحلفاء) ، والذين كانت جيوشهم لاتزال تدنس الوطن السوري باحتلالها الغاشم .

□ خروج الشيوعيين من اجتماعات الاحتفالات بنصر الحلفاء (ومنهم الفرنسيون) في مظاهرات تنشد فيها الاناشيد الارمنية ، ويطلق فيها بعض الارمن الرصاص على مواطن عربي ، ويطعنون آخر بمدية .

□ اقدام نفر من الشيوعيين بينهم شفيق بكداش (أخو خالد بكداش الامين العام للحزب الشيوعي السوري) على الاعتداء على

شاب عربي ، اذ انهالوا عليه ضربا ، وجرحوه جرحا بليغا في راسه .

□ « الدعوة الصريحة الى مصادقة الشعوب الاستعمارية ، والتفاني في حبها وخدمتها ،وتقديس ابطالهاومبادئها وانتصاراتها» .

□ الاحتفال بأعياد فرنسا القومية (عيد ١٤ تموز) .

□ جمع التبرعات للجيش الاحمر السوفياتي .

□ تأييد الفئة الحاكمة في سياسة التخاذل أمام الافرنسيين ، وفي محاربتها للوحدة العربية ، وامتهانها للحريات الدستورية ، واضطهادها لرجال العرب الاحرار .

ان التهم ، التي الصقها البيان بالحزب الشيوعي السوري ، لم تطلق جزافا ، وانما بنيت على وقائع محددة ، فاذا كانت الوقائع ثابتة ، كانت التهم ثابتة ايضا . ونحن لا نستبق الامور في حديثنا هنا عندما نقول ان الوقائع كانت ثابتة ، ذلك أنها كانت وقائع علنية يعرفها الجميع ، ولم يكن بوسع الشيوعيين ان ينكروها ، حتى لو أرادوا . والحق ان الشيوعيين لم ينكروها ، ولم يخطر ببالهم ان ينكروها ، وسبب هذا كله واضح وبسيط ، وهو ان الشيوعيين لم يكونوا يرون في هذه الوقائع ما يعيبهم ، ولم تكن ـ في نظرهم ـ تهما تستدعي التنصل منها ، وانما هي نماذج من « نضالهم » الطويل الى جانب قوى الديمقراطية العالمية (الحلفاء) ضدالفاشية والنازية، ونتيجة من نتائج سياستهم المعلنة على الملا ، التي لم يكتموا شيئا منها ، لانهم كانوا لا يجدون فيها ما يدعو الى الخجل !

٧ ـ من حقنا ان نستنتج بعد هذا كله ان العداوة بين حزب (البعث العربي) و (الحزب الشيوعي السوري) لم تكن عداوة طارئة ناجمة عن ظرف مؤقت ، وان جاء صدور بيان ١١ ايار ١٩٤٥ نتيجة حادثة طارئة . لقد كانت هذه العداوة عداوة عميقة استمرت ردحا طويلا من الزمن ، ولم يكن بيان ١١ ايار الا لحظة حادة من لحظات تاريخ مستقر وراسخ من العداوة الشديدة المتصلة . ولاد ، على اتصال المعارك بين الحزبين آنذاك من ان بيان ١١ ايار نفسه يشير الى ثلاثة انتصارات (يسميها البيان ثلاث صفعات) حققها (البعث) على الشيوعيين في الاسبوعين اللذين سبقا صدور البيان، وهي بالترتيب :

□ ارغامهم « على ابطال حفلتهم في الجامعة السورية [جامعة دمشق] ، التي كانوا يرصدون ريعها للجيش الاحمر » .

□ هدم ما بناه « الشيوعيون في عشرات السنين » بكلمة واحدة

القاها عربي مخلص « في يوم اول ايار » .

□ الانتصار على « الطلاب المخدوعين بهم في مدرسة التجهز [ثانوية جودة الهاشمي] ومدرسة الصنائع » ، الذي جعلهم يلجؤون « الى الفرار والتواري » .

٨ ـ من الجدير بالذكر ان بيان « ١١ ايار ١٩٤٥ ـ الذي كان يهدف ، كما يظهر من عنوانه ، الى شن الهجوم على الحزب الشيوعي السوري ، وفضح سياسته ومراميه ـ لم ينس ان ينحي باللائمة على « الفئة الحاكمة » ، التي « كانت اكبر مشجع للحزب الشيوعي على التوسع والانتشار ، لانه ايدها في سياسة التخاذل امام الافرنسيين ، وفي محاربتها للوحدة العربية ، وامتهانها للحريات الدستورية ، واضطهادها لرجال العرب الاحرار » ، ولانه ليس في هذه الفئة الحاكمة « من يغار غيرة صادقة على المصلحة العربية وسلامة العقيدة القومية ، وهي لا تتورع عن التضحية بمستقبل العرب في سبيل نجاحها وبقائها في الحكم » .

وهذا يدلنا على ان حزب (البعث العربي) لم يكن يناصب (الحزب الشيوعي السوري) وحده العداء ، وانما كان يعادي هذا الحزب لانه كان ـ في نظر حزب (البعث العربي) آنذاك ـ طرفا في حلف غير مقدس مثلث الاطراف ، يتألف من فرنسا الدولة الاستعمارية،والفئة الحاكمة التي كانت تنهج سياسة متخاذلة امام الدولة الفرنسية المستعمرة ، والحزب الشيوعي السوري ، الذي كان يدعو الى سياسة الصداقة مع فرنسا الديمقراطية !

قد يعجب القارىء لهذا الكلام ، وقد يجده غريبا لا يصدق ، ولكن هذا الكلام يصف الواقع سنة ١٩٤٥ (اي قبل حوالي نصف قرن) ، او على الاقل يصف الواقع كما كان يتصوره حزب (البعث العربي) في ذلك الحين . ولعل خير برهان على ما قلناه آنفا هو البيان الذي اصدره الحزب في ١٦ ايار ١٩٤٥ ،اي بعدخمسة ايام فقط من بيان ١١ ايار ، الذي نتناوله الآن بالتحليل والتعليق . فماذا جاء في بيان ١٦ ايار ؟

د/ ٢ / جيم ـ بيان ١٦ ايار ١٩٤٥ : عندما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها ، احتفل الفرنسيون في ١٥ ايار ١٩٤٥ ، في جميع انحاء سورية ، هم واصدقاؤهم ، بما سموه (يوم النصر) ، واعلنوا عن وصول جيوش فرنسية جديدة الى سورية ، وقدوم ممثل جديد لفرنسا فيها ، فبادر مكتب البعث العربي ، في اليوم

التالي مباشرة ، الى اصدار بيان (٣) هاجم فيه اطراف الحلف غير المقدس الثلاثة : فرنسا ، والفئة الحاكمة ، والشيوعيين .

ونورد في ما يلي ابرز ما جاء في هذا البيان :

آ ـ شن البيان **حملة على فرنسا** ، فانتقد احتفالاتها بالنصر « الذي لم يكن لها في احرازه نصيب كبير » ، واستنكر « ما اثاره رجالها وموظفوها من فتن وتعديات وقحة مبتذلة » ، في اثناء هذه الاحتفالات الخالية من الرصانة والوقار ، وهاجم نكثها بالعهد وتآمرها على الاستقلال ، اذ تاتي « بجيوش جديدة الى ارضنا ، بدلا من تسليمنا جيشنا المغتصب منا ، ومن اجلاء ما لها من قوى عسكرية .. » . ودعا البيان الى استقبال ممثل فرنسا بالاضراب الشامل .

ب ـ **هاجم سكوت (الفئة الحاكمة)** « عن مماطلة الفرنسيين وخداعهم »،« بدافع الجهل والنفعية »،ودعا الشعب الى ان يفرض على هذه الفئة « موقف حزم وصلابة [وان يطالبها] بأن تنهي المفاوضات مع الافرنسيين في ايام معدودة ، في سبيل استكمال الصلاحيات » واستلام الجيش السوري ، **دون الارتباط باي عقد او معاهدة »(٤)** .

ج ـ **هاجم البيان الشيوعيين السوريين** لانهم اشتركوا مع الفرنسيين في جميع انحاء سورية باحتفالات النصر ، وقال : « ان تحدي فرنسا **وصنائعها من الخونة والشعوبيين** لاستقلالك وكرامتك القومية هو تحد واضح قوي . فليكن جوابك عليه بنفس الوضوح والقوة . قاطع المتعاونين مع الاجنبي . ضع حدا لدعايات **الشعوبيين خدام الاستعمار الفرنسي »** .

د / ٢ / دال ـ شهادة الدكتور البيطار : لقد عرضنا موجزا لبيان ١٦ ايار ١٩٤٥ ، لنؤكد ان العداوة بين حزب (البعث العربي) و(الحزب الشيوعي السوري)كانت ،في تلك المرحلة ،عداوة مستقرة وثابتة ، وان بيان ١١ ايار ١٩٤٥ ، الذي تناولناه بالدراسة والتحليل ، لم يكن نشازا في أدبيات الحزب آنذاك ، او تصرفا فرديا اقدم عليه الدكتور مدحة البيطار ، ذلك ان قادة الحزب الآخرين لم يقصروا في شن الحملات على الشيوعية والشيوعيين . بعد هذا قد يكون من المناسب ان نعرض ما يقوله الدكتور مدحة البيطار نفسه عن بيان ١١ ايار ١٩٤٥ .

اذكر انني سالت الدكتور مدحة البيطار ذات مرة ، هل هو

نادم على اصدار هذا البيان ؟ فاجاب بلهجة حاسمة : على الاطلاق! لو عادت الظروف نفسها ، لاصدرته مرة اخرى وبتوقيعي !

وفي شهر آب من العام ١٩٨٣ اجريت معه مقابلة (٥) سرد فيها بعض ذكرياته عن تاريخ الحزب ، نقتطف منها بعض ما قاله مما يتصل ببيان ١١ ايار ، وعلاقة الحزب بالشيوعيين آنذاك :

قال الدكتور مدحة البيطار : « ... عند حلول مناسبة واحد ايار ، عيد العمال (...) لا اذكر تماما ، اظن في عام ١٩٤٥ على الارجح (...) اعطوا رخصة للحزب الشيوعي لاقامة حفلة خطابية في هذه المناسبة . وطبعا نحن كنا نريد ان نقيم ايضا حفلة خطابية بهذه المناسبة . تقدمنا بطلب ، رفض . لذلك اتصلت شخصيا بالسيد جميل مردم ، وسالته كيف تعطى رخصة للحزب الشيوعي ، ولاتعطينا رخصة لنا ؟ قال : انتم ما عندكم رخصة حزب . قلت له : هل الحزب الشيوعي عنده رخصة حزب ؟ الحزب الشيوعي ايضا ليس مرخصا ، لذلك اما ان تلغى رخصة الحزب الشيوعي لاقامة الحفلة ، أو نعطى نحن رخصة . ولم يجد مناصا من اعطائي رخصة للقيام بهذه الحفلة الخطابية ، التي اقمناها في سينما (عايدة بالاس) ، التي هي في بناية (الاوربان بالاس) الحالي [اوتيل الشرق] » .

وقال في موضع آخر : « الاحزاب العقائدية ، التي كانت موجودة في ذلك الحين بالاضافة الى حزبنا ، كان هناك الاخوان المسلمون ، والحزب القومي السوري ، والشيوعيون . لا اذكر انه كانت هناك احزاب عقائدية غير هذه الاحزاب . فبالنسبة الى الحزب الشيوعي كانت نظرتنا ان معاملة الحزب الشيوعي تختلف عن معاملة الاتحاد السوفياتي . فالاتحاد السوفياتي كدولة ، ونحن كدولة ، نستطيع ان نعقد فيما بيننا محادثات ، ونصل الى اتفاقات ، والى توحيد وجهات النظر ، وفي السياسة الخارجية ، وفي كل شيء . [هذا] على مستوى الدولة . اما الحزب الشيوعي فالنظرة اليه كانت تختلف ، لان هؤلاء **كانوا مرتبطين بسياسة الاتحاد السوفياتي** ، وينفذون برنامج الاتحاد السوفياتي ، سواء اكان يتفق مع أهدافنا كدولة ، أم لا يتفق . اذكر مثلا ان الحزب الشيوعي ، في أواخر ايام الانتداب الفرنسي، **كان يقف مع الحكومة الفرنسية موقفا مؤيدا الى اقصى حد . وما كانت تفرضه عليه حكومة فرنسا ـ باعتبار [ان هذه] الحكومة كانت تمثل سياستها**

سياسة الاتحاد السوفياتي - كان يتبنى كل شيء تطلبه الحكومة الفرنسية (...) بأواخر ايام الحرب [واقصد] حكومة ديغول المتحالفة مع الاتحاد السوفياتي ومع بقية الحلفاء . فكان [الحزب الشيوعي] يتبنى السياسة الفرنسية على طول الخط ، السياسة الفرنسية التي تماشي الاتحاد السوفياتي ، حتى لو كانت ضد اهدافنا الوطنية في سورية وفي البلاد العربية . وكذلك عندما اعترف الاتحاد السوفياتي باسرائيل كدولة عند قيامها ، كان الحزب الشيوعي في سورية مع قيام هذه الدولة ايضا ، ولم يعترض على قيام هذه الدولة في بقعة عربية من الوطن العربي . طالما ان الاتحاد السوفياتي اعترف باسرائيل كدولة ، فالحزب الشيوعي - كانه قسم من الاتحاد السوفياتي - ايد هذا الاعتراف . لذلك كان موقفنا منه يختلف عن موقفنا من الاتحاد السوفياتي . الاتحاد السوفياتي يمكن ان ندخل معه بمباحثات ، ونوحد سياستنا معه ، ونختلف معه . اما الحزب الشيوعي فهو كانه شيء غريب في جسم الامة العربية » .

واضاف الدكتور البيطار ان هذا الموقف ، الذي اتخذه (البعث العربي) من الحزب الشيوعي ، استمر « حتى تأسيس حكومة التجمع القومي . عندما قبلنا ان نوحد جهدنا مع الحزب الشيوعي . طبعا الحزب الشيوعي لم يتمثل في الحكومة ، وانما كان موافقا على قيامها وايدها في المجلس النيابي » .

وعن بيان ١١ أيار ١٩٤٥ بالتحديد ، الذي صدر بتوقيع الدكتور مدحة البيطار بالذات ، قال : « عندما حل عيد العمال في ١ أيار ، احببنا في ذلك الوقت ان نقيم حفلة بمناسبة هذه الذكرى : ذكرى (عيد العمال) . وكذلك الحزب الشيوعي اقام حفلة في اليوم نفسه . نحن ، في حفلتنا ، كنا موضوعيين بالنسبة الى تكريم العامل . اما الحزب الشيوعي فقد ثار لمجرد اننا احتفلنا ايضا في ذلك اليوم ، وكما قلت الحزب الشيوعي كان مرتبطا ، في تلك الفترة ، بالحكومة الفرنسية . [وقد] خرج بمظاهرة ، بعد حفلتنا وحفلته في ١ أيار ، وندد بموقف الحكومة وموقفنا نحن ، واصطدم مع شبه مظاهرة كان يقودها حزب (البعث) والمؤيدون لحزب (البعث) . طبعا حزب (البعث) ما كان عنده العدد الكافي للقيام بمظاهرة ، وانما [مع] المؤيدين لفكرته . وقع اصطدام بيننا وبينهم ، وجرح بعض الاشخاص من مناصري حزب (البعث) . الشيوعيون اعتدوا على هؤلاء

الاشخاص ونتيجة لذلك ، ما لجأنا الى مهاجمة مقر الحزب الشيوعي (٦) ، او مهاجمة اعضائه ، وانما لجأنا الى الاسلوب الذي نفضح فيه موقف الحزب الشيوعي من قضايانا الوطنية ، فاتهمناهم بالعمالة ، واتهمناهم بانهم لا ينتمون الى الامة العربية ، وانما ينتمون الى حكومة الاتحاد السوفياتي ، التي تسيرهم حسب اهوائها ، حتى لو تعارض مسيرهم مع اماني الامة العربية » .

ولما سألنا الدكتور مدحة البيطار عن الشاب العربي ، الذي ذكر البيان انه اصيب بجرح بليغ في راسه ، وعن الصفات التي اطلقها البيان على شفيق بكداش وطامت بكداش ، قال : « اذكر ان الشخص [الجريح] كان من عائلة شحادة . المضروب كان من عائلة شحادة ، وزرناه في داره ، والصفات التي اطلقناها على هؤلاء الاشخاص ، وبتوقيعي انا شخصيا ، صفات حقيقية » .

د / ٢ / هاء - توضيحات اخرى : مهدت سلسلة (نضال البعث) لنشر نص بيان ١١ أيار ١٩٤٥ ، بشرح موجز لظروف صدوره ، يلقي عليه مزيدا من الضوء ، ويساعد على فهم البيان فهما افضل . وهذه خلاصة ماورد في هذا الشرح (٧) :

□ اخذ الحزب الشيوعي في سورية ولبنان ، منذ سنة ١٩٣٦ ، يتقرب من الحكومات والقيادات الاقطاعية ، ويدافع عن بقاء فرنسا في هذه البلاد . وفي اثناء الحرب العالمية الثانية دأب الشيوعيون على مماشاة الانتداب الفرنسي الى حد استفزاز المشاعر الوطنية ، وعادوا الى محالفة الحكم المحلي الرجعي ، معللين ذلك كله بضرورة كسب معركة الديمقراطية ضد الفاشية والنازية .

□ كان الشيوعيون يهاجمون حزب (البعث العربي) في صحفهم ، ويتهمونه بالنازية والرجعية والدكتاتورية .

□ كانت الفئة الحاكمة في سورية تساعد الشيوعيين وتسهل نشاطهم ، وتكافح نشاط حزب (البعث العربي) .

□ اعلن الشيوعيون عن اقامة مهرجان كبير في اكبر قاعة سينما في دمشق ، بمناسبة عيد اول أيار ١٩٤٥ .

□ سارع حزب (البعث) الى طلب اقامة مهرجان مماثل احراجا للحكومة ، فاضطرت الحكومة الى الترخيص لمهرجان (البعث) ، الذي اطلق عليه اسم (عيد العامل العربي) .

□ كان الاقبال على مهرجان (البعث) شديدا جدا ، يحمل معنى الرد على الشيوعيين ، وعلى طعنهم للكرامة الوطنية طوال سني الحرب .

□ كانت الفكرة المحورية ، التي دارت الخطب حولها في (عيد العامل العربي) ، هي ان الاحزاب الشيوعية في البلاد العربية تستغل التخلف الناجم عن الحكم الاقطاعي ، لتظهر الشيوعية وكانها الدواء لمفاسد الوضع الاجتماعي، وان وجود الشيوعية وجود سلبي ينعدم مع ظهور مفهوم القومية العربية الحديث ، وقيام الحركة العربية الثورية، التي تقرن التحرر الوطني بالثورة الاجتماعية .

□ تمادى الشيوعيون في تلك الآونة ـ أي في الايام الاخيرة من الحرب ـ باظهار قوتهم واعتدادهم بنصر الحلفاء ، حتى إنهم رفعوا صور ديغول في مظاهراتهم الى جانب صور ستالين(٨) .

□ صدر بيان ١١ ايار ١٩٤٥ بعد ان اعتدى الشيوعيون على شاب قومي .

د / ٢ / واو ـ من المسؤول ؟ والآن من المسؤول عن تردي العلاقات بين حزب (البعث العربي) و(الحزب الشيوعي السوري)، وانحدارها الى الحضيض ؟ ان هذا السؤال جوهري، لان في الاجابة عنه تفسيرا للعلاقة التاريخية بين الحزبين . وهو سؤال محير ، ولا سيما اذا علمنا أن في طليعة الاسباب ، التي نفرت **زكي الارسوزي** من ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار ، صداقتهما العميقة مع الشيوعيين وعلاقتهما الوثيقة بالحزب الشيوعي ، بل ارتباطهما به ارتباطا تنظيميا بحسب ما كان شائعا بين المعنيين في تلك المرحلة بالشؤون الحزبية والسياسية . فهل انقلب عفلق والبيطار على مبادئهما الشيوعية ، وخانا حزبهما الاممي ، وتحولا الى فاشيين ونازيين ، فاعان الشيوعيون عليهما وعلى حزبهما القومي الشوفيني حربا لا هوادة فيها ؟ ام كان الشيوعيون يناصرون الاماني القومية ، ويؤيدون الوحدة العربية ، ثم انحرفوا عن هذا السبيل، فانقلبوا على الاهداف القومية ، وانصرفوا عن تأييد الوحدة العربية؟

الواقع ان ما كان **زكي الارسوزي** يردده عن عفلق والبيطار لم يكن بغير اساس . فمن المؤكد ان صلة عفلق والبيطار بالحزب الشيوعي في سورية ولبنان كانت صلة وثيقة ، منذ عودتهما من باريس ، بعد انتهاء تحصيلهما الجامعي في اوائل الثلاثينات . غير ان هذه الصلة اهتزت اهتزازا شديدا منذ العام ١٩٣٦ ، وتلاشت في العام ١٩٣٧ ، بل وصلت الى حد القطيعة . ولكن هذا كله لا يعني ان عفلق والبيطار هما اللذان تغير موقفهما ، فالوقائع التاريخية تقول غير هذا ، والوثائق تثبت ان الحزب الشيوعي في سورية ولبنان(٩) هو الذي

تحول موقفه من تأييد الوحدة العربية ، بل الدعوة اليها ، الى معارضتها والوقوف في وجهها ومحاربتها ! !

قد يكون لهذا الكلام وقع كوقع المفاجأة في نفس القارىء ، ذلك ان سواد الناس ـ عدا قلة نادرة ـ لا يعرفون هذه الحقيقة ، إلا وهي ان الحزب الشيوعي السوري ـ اللبناني كان يقف موقفا ايجابيا من القضية القومية ، وفي طليعتها قضية الوحدة العربية، ثم انقلب على نفسه ، وانحرف عن التيار القومي انحرافا كاملا ، ولم يال جهدا في محاربته . ولهذا كله قصة . فلنبدأها من اولها .

د / ٢ / زاي ـ « مؤتمر زحلة » عام ١٩٣٤ : انعقد هذا المؤتمر(١٠) بدعوة من الحزب الشيوعي السوري ـ اللبناني ، في اواخر شهر آذار ١٩٣٤ ، في منزل صديق الحزب **يوسف الهراوي** ، في زحلة بلبنان ، بمشاركة من (عصبة العمل القومي) ، التي كانت قد عقدت مؤتمرها التاسيسي في قرنايل في اواخر آب ١٩٣٣ . شارك في المؤتمر ثلاثون من المثقفين العرب في سورية ولبنان ، منهم **سليم خياطة ، ويوسف خطار الحلو ، ورشاد عيسى ، ومصطفى العريس ، والياس القرعوني** (من الشيوعيين اللبنانيين) ، **ومنير سليمان** من عصبة العمل القومي ، **والدكتور كامل عياد والدكتور جميل صليبا** (من المثقفين السوريين الوثيقي الصلة بالحزب الشيوعي ، المناصرين لنهجه ومبادئه وسياسته ، ان لم نقل انهما كانا من اعضائه) ، **وميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار وابراهيم الكيلاني** (من المثقفين السوريين المستقلين) ، علاوة على بعض المثقفين من لواء الاسكندرونة .

دارت المناقشات في المؤتمر حول تطوير الثقافة والتمدن في الامة العربية ، وتركزت حول موضوع (الوحدة العربية) ، وحول اشكال هذه الوحدة : هل تكون على شكل (فدراسيون) ، أم (كونفدراسيون) ؟ واتخذ المؤتمر قرارا بالاجماع ، باصدار مجلة تنطق باسم المثقفين تكون اداة لتقريب مفهوم الوحدة العربية من الراي العام العربي . وكان صدور مجلة (الطليعة) في دمشق ، في اواخر العام ١٩٣٥ ، التي تولى رئاسة تحريرها **فؤاد الشايب** ، ثم **رجا حوراني** ، تنفيذا لهذا القرار . ومن الاقلام التي شاركت في تحرير هذه المجلة : **سليم خياطة ، وميشيل عفلق ، والدكتور كامل عياد ، ورئيف خوري ، ونقولا شاوي ، وفايز يارد ، وامين الريحاني ، ومحمود سيف الدين الايراني ، وعصام حفني ناصف ،**

والدكتور خليل البديري ، والدكتور جميل صليبا ، وطه حسين ، وانطون ثابت وغيرهم .

ومما أعلنه المؤتمر ان القضية العربية قضية قومية ، وهي قضية الامة العربية كلها ، وان هدف القضية العربية هو ايقاظ قوى امتنا وتنظيم عناصرها في **دولة مستقلة متحدة** متحضرة ، يحتفظ ضمنها كل بلد بالاستقلال الذاتي ، في حين تتولى سلطة مركزية شؤون السياسة الخارجية والدفاع والقوات المسلحة والمال والاقتصاد ، واعلن المؤتمر ان أشد اعداء الامة العربية الاستعمار والفقر والجهل

☐ نحن ... وقراء المناضل ☐

لفت احد القراء نظرنا مشكورا الى عبارات تعوزها الدقة ، وردت في الحلقة المنشورة في العدد ٢٤٦ من « المناضل » (كانون الثاني / شباط ١٩٩١) :

☐ ورد في الصفحة ٣٣ من العدد المذكور آنفا ان وظيفة المدير العام للوزارة تعادل وظيفة معاون الوزير في ايامنا . وتحريا لمزيد من الدقة نقول ان وظيفة المدير العام للوزارة قبيل الحرب العالمية الثانية تعادل وظيفة (الامين العام) للوزارة ، في الخمسينات والستينات ، من حيث شمول الصلاحيات . ذلك أن الامين العام (كالمدير العام) كان يطلق عليه اسم « الوزير الدائم »، لان وظيفته كانت ثابتة تقريبا ، اما الوزير فسرعان ما يذهب ليأتي غيره ، وكان لكل وزارة مدير عام (او امين عام) واحد . اما اليوم فقد يكون للوزارة الواحدة عدد من معاوني الوزير ، يتولى كل واحد منهم جانبا واحدا فقط من العمل في الوزارة .

☐ ورد في الصفحة ٣٤ من العدد نفسه أن الليرة السورية انخفضت مع نشوب الحرب العالمية الثانية ، وارتفع سعر الذهب من خمس ليرات سورية ونصف لليرة العثمانية الذهبية الى اكثر من عشرين ليرة سورية . وتحريا لمزيد من الدقة نقول : ظلت قيمة الليرة السورية ثابتة بالنسبة الى الذهب (ليرة ذهبية عثمانية = ٥ر٥ ليرات سورية) منذ اصدرها الفرنسيون عام ١٩٢٠ ، حتى خفضت الحكومة الفرنسية قيمة الفرنك الفرنسي في اعقاب الازمة الاقتصادية العالمية في اوائل الثلاثينات . ولما كانت الليرة السورية مرتبطة بالفرنك الفرنسي (ليرة واحدة = ٢٠ فرنكا) فقد انخفضت قيمتها بانخفاض قيمة الفرنك ، حتى صارت الليرة العثمانية تساوي ٩ ليرات عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية .ومع انهيار الفرنك الفرنسي عندنشوب الحرب،انهارت الليرة السورية ، وارتفع سعر الذهب في فترات متتالية ، حتى قارب سعر الليرة العثمانية الذهبية اربعين ليرة في اواخر الحرب .

والرجعية الاجتماعية **والتعصب الديني** ، ودعا الى محاربة هؤلاء الاعداء بلا هوادة ، واعلن المؤتمر النضال **ضد الصهيونية ، ليس على اساس ديني** ، بل لكونها قوة امبريالية تسعى الى السيطرة على المنطقة .

قد يتوهم القارىء ، بعد هذا كله ، ان مؤتمر زحلة كان مؤتمرا للمثقفين القوميين في الاساس ، وان اشتراك الشيوعيين فيه كان هامشيا ، وبالتالي كان دورهم فيه دورا ضئيلا لا يستحق الذكر . والحق ان الواقع كان ابعد ما يكون عن هذا الوهم : ذلك ان مؤتمر زحلة قد انعقد في الاساس بدعوة من الحزب الشيوعي السوري ـ اللبناني ، وكان انعقاده نشاطا من جملة انشطة هذا الحزب ، وجاءت مقرراته تعبيرا عن نهجه وسياسته واهدافه . وكان **سليم خياطة** هو الذي يعود اليه الفضل في انعقاد المؤتمر ، فهو الذي قاده ، وأدار المناقشات في جلساته ، وهو الذي انشأ الوثيقة التي دارت حولها هذه المناقشات ، والتي كانت اساس بيان زحلة الذي اصدره المؤتمر بعنوان **(في سبيل الوحدة العربية)** .

فاذا علمنا ان **سليم خياطة** كان من ابرز قادة الحزب الشيوعي في ذلك الحين ، وانه هو الذي نسب **نقولا شاوي** (الامين العام الاسبق للحزب الشيوعي اللبناني) الى الحزب ، ايقنا ان مؤتمر زحلة عام ١٩٣٤ كان يتحرك بقيادة الشيوعيين ، وان مقرراته كانت تمثل نهج الحزب الشيوعي وعقيدته واهدافه وسياسته .

فماذا جاء في بيان مؤتمر زحلة من مقررات ؟

د / ٢ / حاء ـ بيان مؤتمر زحلة ومقرراته : صدرت مقررات مؤتمر زحلة عام ١٩٣٤ ، ونشرت في كراسة صغيرة ، عنوانها : **(في سبيل الوحدة العربية)** . والعنوان وحده دليل واضح على ان اتجاه المقررات كان اتجاها قوميا عربيا وحدويا صريحا . والواقع ان الدعوة الى الوحدة العربية لا تقتصر على العنوان ، بل هي تنضح من كل سطر فيه . ولعل خير ما يعبر عن جوهر البيان وروحه القومية العربية هذه الفقرة ، التي تحدد **العقيدة** ، التي دعا اليها مؤتمر زحلة ، والتي نوردها بنصها الحرفي في ما يلي (١١) :

« نحن العرب نعتقد أن :

« ١ ـ القضية العربية قضية قومية بحتة ، وهي قضية امتنا العربية .

« ٢ ـ امتنا العربية هي القاطنة في العالم العربي ، والمرتبطة

بصلات اللغة والثقافة والتاريخ والتقاليد والمصالح والآمال الواحدة.

« ٣ ـ وطننا العربي هو البلاد الواقعة ضمن الحدود التالية: جبال طوروس والبحر الابيض المتوسط من الشمال ، والمحيط العربي وجبال الحبشة وصعيد السودان والصحراء الكبرى من الجنوب ، والمحيط الاطلس والبحر الابيض المتوسط عند سواحل الشام من الغرب ، وجبال ايران وخليج البصرة من الشرق .

« ٤ ـ العربي هو كل من لغته الاصلية العربية ، او يسكن الاقطار العربية ، وليست له ، في الحالتين ، اية عصبية تمنعه من الاندماج في القومية العربية .

« ٥ ـ هدف القضية العربية ايقاظ قوى امتنا وتنظيم عناصرها في دولة مستقلة متحدة متحضرة .

« ٦ ـ القضية العربية وحدة تامة لاتتجزأ ، ولايمكن ان تتنافر اجزاؤها .

« ٧ ـ كل عصبية اقليمية ، او جنسية ، او طائفية تنشأ في وطننا العربي هي قوى هدامة ، يجب القضاء عليها ، او اذابتها في العصبية القومية الجامعة .

« ٨ ـ البلاد العربية ملكنا ، وكل اعتداء عليها اعتداء على انفسنا .

« ٩ ـ لامتنا العربية تاريخ مجيد ، ولها على المدنية فضل كبير ، فنحن نفتخر بكوننا عربا .

« ١٠ ـ اشد اعداء بلادنا الاستعمار ، والفقر ، والجهل ، والرجعية الاجتماعية ، والتعصب الديني ، فلنحاربها بكل جهودنا.

« ١١ ـ لايفصلنا عن اخواننا العرب دين ،او مذهب ، بل تتحد عقائدنا في خدمة قضيتنا .

« ١٢ ـ حياة بلادنا برفاهها الاقتصادي ، فليكن هذا هدفنا في جميع اعمالنا .

« ١٣ ـ كل من يخل بواجبه نحو امتنا هو عضو فاسد في جسمنا ، فلنقطعه ، ولندسه باقدامنا .

« ١٤ ـ تدخل الدين في السياسة والدولة اساس مصائب بلادنا ، فواجبنا ان نسعى لفصلهما فصلا تاما مطلقا » .

اني لاكاد اقرأ الدهشة في عيون القراء وهم يطلعون على تفاصيل هذه « العقيدة » ، التي اعلنها مؤتمر زحلة ، وكثفها في اربعة عشر مبدأ . والدهشة مصدرها سببان متقابلان :

اما السبب الاول فهو البون الشاسع ، الذي يفصل بين لغة هذه المقولات الاربع عشرة وبين لغة الشيوعيين ، التي تعودنا ان نسمعها في بلادنا على مدى نصف قرن من الزمان .

واما السبب الثاني فهو مدى التشابه بين هذه « العقيدة » بمقولاتها الاربع عشرة وبين مبادىء حزب (البعث العربي) ، كما وردت في دستوره ، الذي اقره مؤتمره التاسيسي في نيسان عام ١٩٤٧ . يكفي مثالا على هذا التشابه ، ان نشير الى حدود الوطن العربي وتعريف العربي هنا في هذا النص ، وهناك في دستور (البعث) ، فالتشابه في هذين الامرين يكاد يبلغ حد التطابق (١٢) . ولعلنا لا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان البند السابع من مقولات بيان زحلة ، الذي يعالج العصبيات الاقليمية والعرقية والطائفية ،ويدعو الى اذابتها في العصبية القومية الجامعة ، كان موفقا في التعبير عن هذه المشكلة الحساسة بالقياس الى التعبير الوارد في المادتين المتصلتين بهذا الشأن ، سواء في « الاهداف والغايات » ، او في « الدستور » (١٣) .

لقد اقتصرنا على الاستشهاد بنص « المقولات » الاربع عشرة تجنبا للاطالة وحسب ، ولولا هذا لكان بوسعنا ان نجد في كل سطر من سطور كراسة (**في سبيل الوحدة العربية**) شاهدا على ان الحزب الشيوعي السوري ـ اللبناني في العام ١٩٣٤ لم يكن يقف في مواجهة تيار العروبة ، ولم يكن يرفض القومية العربية ، اويعارض الوحدة العربية ، وانما كان يعلن انها امنية قومية ويدعو الى النضال في سبيل تحقيقها ، ويدل على العراقيل التي تقف في وجهها ، ويقدم الاقتراحات المناسبة لتذليل العقبات من امامها ، ويقرر ان « اول خطوة في السير على هذا السبيل هو تنظيم **حزب عربي** ، متكاتف ، عنيف ، له قوة البركان عند انفجاره » (١٤) .

ولكن ما المصير الذي آل اليه هذا التيار القومي العربي القوي في الحزب الشيوعي السوري ـ اللبناني ؟ واي جزاء كان ينتظر القادة الشيوعيين العروبيين ؟ واين اصبح ذلك البيان الخطير ، **بيان زحلة** ، الذي دعا الى قيام « حزب عربي » ، يناضل بقوة كقوة البركان ، في سبيل تحقيق وحدة العرب ؟

د / ٢ / طاء ـ الانقلاب على الوحدة العربية : للاجابة عن هذه الاسئلة كلها نبدأ من النقطة التي افضت الى التطورات اللاحقة كلها ، الا وهي الخط الذي اقره « الكومنترن » سنة ١٩٣٦ : ففي

اجتماع لسكرتارية الكومنترن اكد ديمتروف اهمية الروابط المتينة بين الاحزاب الشيوعية ، لكنه لم يقر فكرة تكوين منظمة حزبية عربية عامة وموحدة ، وعارض الطرح « غير الناضج » لشعار تأسيس جمهورية عربية موحدة ، ورأى فيه استعداداً لتأسيس الوحدة في الحال . ورأى ايضا ان هذه الفكرة لاتعدو كونها تفكيراً ينطوي على رغبة . وقد ايد ديمتروف كل من رئيس السكرتارية أوتو كوزينين ، ود . رمانوبنسكي .

بعد قرار الكومنترن صار على الاحزاب الشيوعية العربية ان تنفي من تفكيرها الشأن القومي ، الا من أجل تسفيهه ووصمه بالرجعية والشوفينية ، واصبح على (القومي) في هذه الاحزاب ان يترك مكانه ليحل محله (الاممي) ، فتوارت (المصالح القومية) ، وحلت محلها (مصالح الاتحاد السوفياتي) . وكان من الطبيعي ان ما ينطبق على الاحزاب الشيوعية العربية ينطبق على الحزب الشيوعي السوري – اللبناني ، وكان على الاتجاه القومي والعربي في هذا الحزب أن يصدع بأوامر الكومنترن ، أو يختفي .

على ان هذا لم يحدث الا بعد مقاومة . من ذلك ماكتبه **سليم خياطة** في مجلة (الطليعة) عام ١٩٣٦ ، بعنوان «نداء الى المثقفين»(١٥)، ودعا فيه الى قيام حزب **جديد** ، شيوعي في مضمونه ، وعربي في هويته ، يكون بمثابة « حزب وحركة شعبية عامة للاقطار العربية . . تحقق الكيان العربي الاشتراكي المجالسي »(١٦)، مخالفا بدعوته هذه تعليمات الكومنترن برفض قيام حزب شيوعي عربي موحد ، ومعارضا توجهات قيادة الحزب الشيوعي السوري – اللبناني المناقضة لقرارات مؤتمر زحلة . ومن ذلك ايضا مقالتا **رئيف خوري** في مجلة (الطليعة) بين ١٩٣٦ و ١٩٣٧ ، الاولى بعنوان « القومية » ، والثانية بعنوان « القومية العربية الجامعة طريق الخلاص » .

وقد واجهت قيادة الحزب الشيوعي السوري – اللبناني هذا التمرد بالقمع ، فلجأت الى سياسة الطرد والتشهير وما الى ذلك ، فاخرج **ناصر حدة** القيادي المؤسس من قيادة الحزب ، لان آراءه – كما يقال – كانت متقاربة مع آراء **سليم خياطة** ، الذي ابعد ايضا وغيب ذكره ، وكذلك ذكر **فؤاد الشمالي** ، سنوات طويلة . وحوسب **رئيف خوري** ، بعد اثني عشر عاما ، على ماكتب . ووصم بانه انتهازي وانهزامي ومخرب مع غيره من امثال **رشاد عيسى وقدري قلعجي وهاشم الامين ومايز سعد وأميلي فارس** وغيرهم .

لقد بدا هذا الانحراف الخطير ، المتمثل في تحقير كل ماهو « قومي » ، واعلاء شأن كل ماهو « اممي » ، سنة ١٩٣٦ . وكان لهذا الانحراف ما بعده . فهو يفسر انتهاج سياسة الصداقة والتحالف مع فرنسا الديمقراطية ، في ظل الانتداب والاحتلال الفرنسيين . ويزيل شيئا من دهشتنا واستغرابنا – ان لم نقل استهجاننا – لابتهاج الحزب الشيوعي السوري بانتصار الحلفاء ابتهاجا دفعه الى المشاركة نشطة في احتفالات « يوم النصر » المبتذلة !

د / ٢ / ياء – تزييف(في سبيل الوحدة العربية): من الواضح ان عبارة مثل : « نحن الشيوعيين العرب نعتبر انفسنا ورثة الثورة الوطنية العربية ، وعلينا المتابعة بطرق واساليب حديثة » – وهي العبارة الواردة في بيان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري – اللبناني عام ١٩٣٤ – اصبحت نوعا من التجديف والكفر بعد انقلاب سنة ١٩٣٦ الخطير ، الذي انحرف عن بيان مؤتمر زحلة ومقرراته بزاوية مقدارها ١٨٠ درجة . فإذا كان الحال هو هذه الحال ، واذا تذكرنا مصير قادة التيار العربي في الحزب الشيوعي السوري – اللبناني ، فان لنا ان نتصور ماآلت اليه قرارات مؤتمر زحلة ، وكراسة (في سبيل الوحدة العربية) : لقد اصبحت محرمة في صفوف هذا الحزب ، واخفيت تماما !

ولكن الحزب الشيوعي السوري – اللبناني لم يكن الحزب الشيوعي الوحيد في الوطن العربي ، الذي كان معنيا بمصير كراسة (في سبيل الوحدة العربية) ، وانما يبدو ان الحزب الشيوعي العراقي كان معنيا بها ايضا ، فأعاد طباعتها في بغداد سنة ١٩٣٦ ، ولكن بعد « تصحيحها » تصحيحا لايتسم بكثير من « الذكاء » ، ولايتصف بشيء من « الامانة » .

ونورد في مايلي نماذج مما ادخل على كراسة (في سبيل الوحدة العربية) ، في طبعة بغداد ١٩٣٦ ، من تحوير وتزييف :

ياء / ١ – عنوان الكراسة الاصلي كان (في سبيل الوحدة العربية) ، فحور ليصبح (في سبيل تحرر الشرق العربي) .

ياء / ٢ – وضعت لكراسة بغداد مقدمة تنسف مضمون كراسة زحلة نسفا ، وتطوعه تطويعا لمقتضيات قرارات الكومنترن حول الوحدة العربية سنة ١٩٣٦ ، التي تعارض فكرة الوحدة العربية ، وفكرة انشاء حزب شيوعي عربي واحد ، وتعبر تعبيرا صريحا عن

خط التخلي عن مقولة الامة العربية وهدف الوحدة العربية . ففي هذه المقدمة تحل عبارة (الشرق العربي)محل عبارة (الامة العربية) حيثما وردت . وفضلا عن ذلك ، تقول المقدمة ، بلامواربة : « نحن ابناء هذا الجيل في العراق وسورية وفلسطين وكافة ابناء **شعوب الشرق العربي** ،الذين يقععلى عاتقنا وحدنا تنظيم شعوبنا ،وتوحيد نضالها ضد اي معتد على حرياتها وحقوقها ، وتهيئة **شعوب الشرق** لمجابهة التطورات العالمية ، العاملين الى اسعاد شعوبنا ، الرافعين عنها كابوس الطغيان الفردي ، الذي نظمه الافراد ، الذين لاتهمهم مصالح**شعوب الشرق العربي** من الاستغلاليين والانتهازيين ، **نحن لم نعد نرى في نوع الدعوة الى الوحدة ، التي تدعو اليها عصابات المتآمرين غير استهتار بشعوبنا وتاريخها ومستقبلها ... لم نعد نرى في الوحدة غير توحيد نضال جماهير الشرق العربي ضد الامبريالزم والاستعمار والحروب »** .

ياء / ٣ ـ البند الاول من بنود العقيدة في بيان زحلة ، الذي نصه : « **القضية العربية قضية قومية بحتة ، وهي قضية امتنا العربية** » ، حذف من طبعة بغداد حذفا تاما ، وبجرة قلم ،دون أن يوضع نص بدلا منه .

ياء/٤ ـ البند الثاني من بنود هذه العقيدة ، الذي كان نصه : « **امتنا العربية** هي القاطنة في العالم العربي ، والمرتبطة بصلات اللغة والثقافة والتاريخ والتقاليد والمصالح والآمال الواحدة » ، اصبح البند الاول في طبعة بغداد ، وحور تحويرا جائرا ، فاصبح نصه : « **البلاد العربية** تتكون من الشعوب القاطنة في العالم العربي ، والمرتبطة بصلات الثقافة والتاريخ والتقاليد والمصالح **الآنية** والآمال الواحدة **المستقبلة** » .

ياء/٥ ـ حور البند الثالث ، الذي كان نصه في الاصل : « **وطننا العربي** هو البلاد الواقعة ضمن الحدود التالية : جبال طوروس ... » الى آخر النص ، فاصبح البند الثاني في طبعة١٩٣٦ ، وصار نصه : وطننا هو البلاد الواقعة ضمن الحدود التالية ... » الى آخر النص ، بعد **حذف صفة « العربي »** .

ياء/٦ ـ تعريف العربي في البند الرابع ، الذي كان نصه في بيان زحلة : « **العربي هو كل من لغته الاصلية العربية** ، او يسكن الاقطار العربية ، وليست له ، في الحالتين، اية عصبية تمنعه من **الاندماج في القومية العربية** » ، شوه تشويها ممجوجا ، فاصبح نص

البند الثالث في كراسة ١٩٣٦ كما يلي : « **ابن الشرق العربي هو كل** من يسكن الاقطار العربية ، وليست له في الحالتين اية عصبية تمنعه من **الاندماج في النضال الموحد ضد المعتدين على الشرق العربي** » ، فحذفت اللغة العربية بما هي صفة ملازمة للعربي ، وحذفت القومية العربية .

ياء/٧ ـ البند الخامس كان نصه : « هدف القضية **العربية** ايقاظ قوى امتنا ، وتنظيم عناصرها في دولة مستقلة متحدة متحضرة ، اصبح البند الرابع ، **وحذفت عن (القضية) صفة « العربية »** ، فاصبحت « القضية ، **التي ندعو لها** » .

ياء/٨ ـ البند السادس كان نصه : « القضية **العربية** وحدة تامة لا تتجزا ، ولا يمكن ان تتنافر اجزاؤها » ، اصبح البند الخامس ، وصار نصه بلا معنى ، على النحو التالي : « قضية **الشرق العربي** هي الوحدة التامة **التي** لاتتجزا ... » الى آخر النص.

ياء/٩ ـ البند السابع الاصلي كان نصه : « كل عصبية اقليمية ، او جنسية ، او طائفية ، تنشا في **وطننا** العربي **هي قوى هدامة يجب القضاء عليها** ، او اذابتها في **العصبية القومية الجامعة** »، حور تحويرا افرغه من مضمونه الحقيقي ، فاصبح البند السادس مزيفا كما يلي : « كل عصبية اقليمية ، او جنسية ، او طائفية ، تنشا في **الشرق** العربي ، يجب اذابتها في **النضال الموحد في جامعة شعوب البلاد العربية** » ، وذلك بعد حذف الاشارة الى الوطن العربي ، والى ان هذه العصبيات قوى هدامة يجب القضاء عليها ، وحذف العصبية القومية الجامعة .

ياء/ ١٠ ـ البند التاسع كان في الاصل : « **لامتنا العربية** تاريخ **مجيد** ، ولها على المدنية فضل كبير ، فنحن نفتخر بكوننا **عربا** » تخفف من جوهره فاصبح في البند الثامن **المزيف كما يلي** : « في تاريخ **شعوب الشرق العربي** فضل كبير على **المدنية** ، **فنحن** نفتخر به **ونحالله ونمشي على هدي ما ينفع الشرق العربي منه من دون زيف** » . فنزعت صفة « مجيد »عن التاريخ العربي ، وحذفت جملة « فنحن نفتخر بكوننا عربا » . والطريف أن هذا البند يستنكر الزيف ، وهو مزيف ! !

ياء/ ١١ ـ البند الحادي عشر كان في الاصل : « **لا يفصلنا عن** اخواننا العرب دين او مذهب ، **بل** تتحد **عقائدنا في خدمة قضيتنا** » ، لحقه تحوير « عنصري » ، فاصبح البند العاشر **في طبعة بغداد كما**

يلي : « لا يفصل **عناصر شعوب الشرق** دين او مذهب ، او **عنصرية** بل تتحد عقائدنا في خدمة **حركة تحرير الشرق العربي** » .

ياء/١٢ ــ اما البند الثالث عشر فقد كان نصه الاصلي : « كل من يخل بواجبه نحو **امتنا** هو عضو فاسد في مجتمعنا ، فلنقطعه ، ولندسه بأقدامنا » ، فاصبح البند الثاني عشر في طبعة بغداد ، وحذفت منه عبارة « ولندسه بأقدامنا » . هذا حسن ، ولكن في ما عدا ذلك جاء التعديل ليشوه المعنى الاصلي وينسفه من اساسه ، اذ اصبح النص الجديد كمايلي : « كل من يخل بواجبه نحو **امم الشرق العربي** هو عضو فاسد في جسمنا ، فلنقطعه » . ولابد من الاشارة بهذه المناسبة الى ان كراسة (في سبيل تحرير الشرق العربي) قد ذيلت في نهايتها بتصحيح خطا ورد في هذا البند ، وجاء نص التصحيح على النحو التالي : (أمم تبدل بـ « شعوب ») .

ياء / ١٣ ــ هذه اهم « التصحيحات » ، التي ادخلتها كراسة (في سبيل تحرير الشرق العربي) ، المطبوعة في بغداد سنة ١٩٣٦ ، على كراسة (في سبيل الوحدة العربية) ، التي اصدرها مؤتمر زحلة عام ١٩٣٤ . وهذه التصحيحات ترمي الى طمس مفهوم القومية العربية ، وحذف كل ما يتصل به من مفهومات اخرى . و « التصحيحات » الاخرى ، التي اهملنا ذكرها ، لا تختلف في مراميها عن هذه التي اوردناها آنفا . ومن الامثلة على هذه التصحيحات الاخرى :

□ حذف « الشعور بالرابطة القومية » ، ليصبح « الشعور بالاعتصام بالاتحاد والقوة » .

□ الامة العربية تصبح شعوب البلاد العربية .

□ الوحدة العربية تصبح وحدة شعوب البلاد العربية .

□ الشعب العربي يصبح الشعوب في البلاد العربية .

□ نحن العرب نعتقد تصبح نحن نعتقد .

□ راية الدولة العربية الكبرى تصبح راية دولة شعوب الشرق العربي الكبرى .

وقس على ذلك !

على ان هذه « التصحيحات » كلها لم تفلح في طمس معالم الكراسة الاصلية ، ولا في اخفاء ملامحها وقسماتها ، وان كانت قد شوهتها تشويها جائرا وقبيحا . وعلى الرغم من هذا كله فان اي قارىء يوازن بين النسخة الاصلية عام ١٩٣٤ ، والنسخة المحورة

سنة ١٩٣٦ ، سيكتشف ، بعد اجراء مقارنة سريعة ، ان هذه ليست الا نسخة من تلك ، ولكنها نسخة ممسوخة ، عملت فيها يد التزوير والتزييف عملا يفتقر الى المهارة ، فكان الزيف ظاهرا ، والتزوير مفضوحا ، ولا سيما ان عناوين الفقرات الاساسية في النسخة الاصلية ظلت على حالها في النسخة المسخ ، كذلك النص في النسخة الاصلية ظل على حاله في النسخة المحرفة ، ما عدا

□ نحن ... وقراء المناضل □

لفت احد القراء نظرنا مشكورا الى ان ما أشرنا اليه في العدد ٢٤٦ من « المناضل » (كانون الثاني / شباط ١٩٩١ ، ص ٣٢ ــ ٣٣) حول ان معاهدة الصداقة والتحالف مع فرنسا سنة ١٩٣٦ كانت تسمح لفرنسا بتسليم لواء الاسكندرونة الى تركيا ، وتلزم الحكومة السورية بما تعقده فرنسا من معاهدات واتفاقيات دولية باسم سورية ، كلام غير دقيق .

وتصحيحا للفقرة المشار اليها ، وتوخيا لمزيد من الدقة نقول : نصت المادة الرابعة من صك الانتداب على ان « الدولة المنتدبة مسؤولة عن عدم التنازل عن اي جزء من اجزاء سورية ولبنان ، وعن عدم تاجيره ، او وضعه تحت سلطة دولة اجنبية » (انظر صك الانتداب كاملا في : حسن الحكيم ، « الوثائق التاريخية » ، دار صادر ، بيروت ، ص ٢٢٩ ــ ٢٣٤) .

لكن فرنسا التفت على هذا النص الصريح ، فعقدت (اتفاقية انقرة) مع تركيا بشأن لواء الاسكندرونة ، واجرت ، تنفيذا لهذه الاتفاقية ، استفتاء مزيفا ، باشراف لجنة من عصبة الامم ، تذرعت به لتسليم اللواء الى تركيا .

اما معاهدة ١٩٣٦ ، فقد جاء في المادة الثالثة منها ان « الحقوق والواجبات الناجمة عن المعاهدات والاتفاقات وسائر العقود الدولية ، التي عقدتها الحكومة الفرنسية في مايخص سورية ، او باسمها ، تنتقل « يوم زوال الانتداب الى الحكومة السورية وحدها » (انظر نص معاهدة الصداقة والتحالف مع فرنسا كاملا في : حسن الحكيم ، م.ن.، ص ٢٢٨ ــ ٢٣٠) . وهذا يعني ان المعاهدة كانت ستجعل الحكومة السورية مسؤولة عن تنفيذ ما توجبه اتفاقية انقرة من اجراءات مجحفة بحقوق سورية في لواء الاسكندرونة .

وعلى كل حال ، فان جميل مردم بك ، رئيس حكومة الكتلة الوطنية ــ الذي قدم تنازلات متوالية لفرنسا ، توسلا الى ابرام المعاهدة ــ ادلى ، دون ان يرف له جفن ، بتصريحه المشهور : « نحن ننحني امام قرار عصبة الامم » ، وذلك بعد ان وافقت العصبة على اعتماد نتيجة الاستفتاء المزور في اللواء .

التحويرات التي اشرنا اليها آنفا ، وتحويرات اخرى مشابهة .

د / ٢ / كاف ـ ملاحظة اخيرة : ولنا ملاحظة اخيرة تتصل بالاهمية التي اسبغت على اشتراك ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار في مؤتمر زحلة ١٩٣٤ . والواقع ان هذه الاهمية لم تلق الاهتمام ، الا بعد ان اصبح عفلق والبيطار معروفين في ميدان السياسة بموقعهما القيادي في حزب (البعث العربي) ، فصار الناس ينقبون في ماضيهما ، سواء اكان هذا التنقيب يرمي الى الكشف عن امجاد مخبوءة في هذا الماضي ، ام كان يرمي الى اماطة اللثام عن عيوب منسية لفضحهما والاساءة اليهما .

اما وقت انعقاد المؤتمر في اواخر آذار عام ١٩٣٤ ، فلم يكن لحضورهما اية اهمية راهنة او خاصة ، لانه لم يكن لاي منهما ، حتى ذلك الحين ، مكانة مرموقة او متميزة . كانا شابين يساريين ، عادا لتوهما من فرنسا ، بعد انهاء تحصيلهما الجامعي ، وقد وجه الحزب الشيوعي السوري ـ اللبناني الدعوة اليهما لحضور المؤتمر لما عرفه فيهما من ميول يسارية ، لكي يكسبهما ، او يكسب تأييدهما ، وهذا طبيعي في نشاط اي حزب سياسي .

اما دورهما داخل المؤتمر فلم يصلنا اي دليل عليه . كل ما نعرف انهما كانا في عداد الحاضرين . ولا نستبعد ان يكون دورهما قد اقتصر على الحضور ، بل نحن نرجح ذلك ، ولاسيما اذا علمنا ان ميشيل عفلق كان حينئذ شابا حديث السن في الرابعة والعشرين من عمره ، دع عنك صلاح الدين البيطار ، الذي لم يكن يتجاوز الثانية والعشرين .

د / ٣ ـ مع (البعث) في اللاذقية

رأينا في حلقة سابقة كيف أسس **زكي الارسوزي** في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٠ حزبا اطلق عليه اسم (البعث) او (البعث العربي) ، وعرضنا تاريخ هذا الحزب منذ تأسيسه ، حتى توقف نشاطه عمليا بدءا من سنة ١٩٤٢ . ثم رأينا كيف اخذ اعضاء (البعث) ، الذي كان يقوده الارسوزي ، بالانضمام ، واحدا بعد الآخر ، الى (البعث) الثاني ، الذي كان يقوده عفلق والبيطار . فانضم **جمال الاتاسي** في اعقاب ثورة **رشيد عالي الكيلاني** ، وتلاه آخرون فرادى . ولعل **سامي الجندي** كان آخر الذين انتقلوا من (بعث) الارسوزي الى (البعث) الآخر ، عندما اقسم يمين الولاء لهذا الحزب في ٨ آذار

١٩٤٦ . وقد سألته مؤخرا عن ظروف هذا الانتقال ، فأجابني برسالة تاريخها ٩ كانون الثاني ١٩٩٣ ان « الذي جرني للانتساب الى حزبه [اي حزب عفلق] هو رفض الارسوزي نهائيا العمل السياسي ، فقد وجدتني وحيدا ، ورفاقي كلهم انضموا اليه » . والدكتور سامي الجندي يردد هنا ما رواه في كتابه (البعث) بهذا الشأن (١٧) .

على انه اذا كان صحيحا ان سامي الجندي كان آخر الذين انضموا الى بعث عفلق من الارسوزيين ، فان هذا لا يعني عدم وجود قلة استثنائية من الارسوزيين آثرت عدم الانضمام ، واختارت المضي قدما في النضال لتحقيق اهداف (البعث) القومية ، على هدي مبادىء الارسوزي ، دون قيادة الارسوزي ، وبالاستقلال عن « بعث عفلق » استقلالا تاما . وكان في طليعة هذه القلة **وهيب الغانم** ، الطالب في السنة قبل الاخيرة من معهد الطب بدمشق ، واحد ابرز تلاميذ الارسوزي من الطلاب الذين هاجروا معه من لواء الاسكندرونة ، ان لم نقل ابرزهم جميعا .

تخرج وهيب الغانم طبيبا في حزيران عام ١٩٤٤ ، وافتتح عيادة في اللاذقية في ايلول من العام نفسه ، وكان قبل ذلك قد قام ، في صيف ١٩٤٣ ، بزيارة الى محافظة اللاذقية (التي كانت تضم محافظة طرطوس ومنطقتي مصياف وتلكلخ ايضا) زار فيها معظم القرى في المحافظة ، ووجد فيها تربة خصبة للعمل الحزبي . ولعل فكرة العمل هناك قد ساورته منذ تلك الزيارة .

وبعد افتتاح العيادة بأشهر معدودة ، اي في العام ١٩٤٥ ، صدر اول بيان باسم **(مكتب البعث العربي)** في اللاذقية ، ووقعه عن المكتب **الدكتور وهيب الغانم ومحمد غريب واحمد ابراهيم عبد الله (١٨)** .

هذا الحزب ، الذي انشأه **الدكتور وهيب الغانم** في اللاذقية ، هل هو حزب (البعث العربي) ، الذي اسسه زكي الارسوزي في دمشق في اواخر العام ١٩٤٠ ، استأنف نشاطه ، بعد توقف قصير ، وانطلق من جديد ؟ والجواب : كلا ، ليس تماما ، فالبعث في اللاذقية جعل من « الاشتراكية » محورا اساسيا في دعوته ، خلافا للارسوزي .

فهل هو حزب جديد غير بعث الارسوزي ؟ والجواب : كلا ، ليس تماما ! انه استمرار لبعث الارسوزي ، وانطلاقة جديدة

لعمله ، ولكن على نحو مغاير تماما .

كيف ؟ لقد كان (بعث) الارسوزي اشبه بزيتونة عريقة ، قطعت ساقها من فوق الارض ، ولم يبق منها الا جذورها ، فظن الناس انها يبست وماتت . فلما اطل الربيع ، شق برعم اخضر صغير الخشب اليابس، ونما شيئا فشيئا، فأصبح عودا طريا رفيعا، ثم غدا غصنا قويا تفرعت منه اغصان أخرى وفروع ، ثم ما لبث ان صار شجرة باسقة وافرة الثمار والعطاء . هذه الزيتونة الجديدة جذورها هي جذور الزيتونة العتيقة التي جفت عروقها ، ولكنها شجرة اخرى مع ذلك .

و (البعث) في اللاذقية ، بالقياس الى (بعث) الارسوزي ، هو هذه الزيتونة الجديدة الفتية . انه نابع منه ومن تاريخه ، ومتصل به ، غير منفصل عنه ، ولكنه جديد ومختلف . انه (بعث) ذو طابع أرسوزي ، ولكن بدون الارسوزي ! فالارسوزي كان قد انفصل قبل ذلك عن الواقع السياسي ، وانصرف عن العمل الحزبي والسياسي انصرافا كاملا . لذلك يخطىء من يظن ان **الارسوزي** كان « يتبنى » (حزب البعث العربي) ، الذي انشأه **الدكتور وهيب الغانم** في اللاذقية ولو ان لسانه كان يلهج بذكر الارسوزي كل يوم .

وقد مر نشوء (البعث العربي) في اللاذقية بالمراحل التالية :

١ – مرحلة تمهيدية : قام فيها طالب الطب وهيب الغانم بزيارة استطلاعية الى محافظة اللاذقية ، شملت قرى المحافظة غربا فشرقا ، ثم شرقا فغربا ، وهكذا ، **سيرا على الاقدام** ، واستغرقت هذه الزيارة صيف العام ١٩٤٢ بكامله .

٢ – مرحلة النشوء : وقد بدات مع افتتاح عيادة الدكتور وهيب الغانم في ايلول ١٩٤٤ ، ثم كان صدور أول بيان عن مكتب البعث العربي ، في العام ١٩٤٥ ، ايذانا بانطلاق العمل انطلاقة جديدة .

٣ – مرحلة الانتشار : وفيها اتسع نشاط الحزب اتساعا كبيرا ، وضم في صفوفه عشرات من البعثيين الجدد ، والتف حوله الآف من الانصار والمؤيدين . وقد استغرقت هذه المرحلة عام ١٩٤٦ بكامله ، والاشهر الاولى من عام ١٩٤٧ ، حتى انعقاد المؤتمر التاسيسي في ٤ نيسان ١٩٤٧ .

هذه المراحل الثلاث **سنتناولها بالتفصيل في فصل قادم ، نروي فيه قصة (البعث العربي) في اللاذقية بحذافيرها** ، من سيف

١٩٤٢ الى ربيع ١٩٤٧ . اما الآن ، فاهتمامنا منصب ، في هذه السطور القليلة على العلاقة بين (البعث) في دمشق ، بقيادة عفلق، و (البعث) في اللاذقية ، بقيادة الدكتور وهيب الغانم :

□ اول ما نريد تاكيده في هذا المجال هو ان حزب (البعث العربي) في اللاذقية كان **حزبا مستقلا استقلالا تاما** عن حزب البعث العربي ، الذي كان يقوده عفلق في دمشق ، ولم يكن فرعا من فروعه كما جاء في سلسلة (نضال البعث) (١٩) . فالواقع انه لم يكن للبعث الذي كان يقوده عفلق اي فرع في اللاذقية ، قبل انعقاد المؤتمر التاسيسي .

□ هذا الاستقلال لايعني انه لم تكن هناك اية علاقة من اي نوع بين « البعثين » . فالواقع ان بعض « الارسوزيين » في دمشق، الذين انضموا الى (البعث) الثاني ، من امثال صدقي اسماعيل وعلي محسن زيفا ، ظلوا على اتصال وثيق بالدكتور وهيب الغانم . وفضلا عن ذلك ، فان فكرة قيام (بعث واحد ، بدلا من بعثين) لم تغب عن الاذهان ابدا ، ولعلها لم تغب عن الاحاديث ايضا .

□ بعد صدور جريدة (البعث) في دمشق في ٣ تموز ١٩٤٦ ، كان البعثيون في اللاذقية يقرؤونها ، لا كما يقرؤون اية جريدة اخرى، وانما كانوا ينتظرون صدورها ويتلقفونها بلهفة ، لان اسمها كان يشدهم اليها ، ويجذبهم بسحر خاص ، ولاسيما انهم كانوا يجدون فيها احيانا مقالات لصدقي اسماعيل ، الذي كانوا يعرفونه من زياراته للدكتور وهيب الغانم ، ويعرفون انه صديقه الحميم ، وانه بعثي مثلهم . وكان هذا كله يجري في حين كان الدكتور وهيب الغانم يشير صراحة في احاديثه الى البعثيين في اللاذقية الى ان جريدة (البعث) تمثل حزبا آخر في دمشق .

□ حين وجهت الدعوة من حزب (البعث) **في دمشق في ١٠ ايلول ١٩٤٦** ، لعقد مؤتمر تاسيسي للحزب في موعد اقصاه ١٠ **تشرين الثاني ١٩٤٦** ، نشطت المساعي لكي يشمل المؤتمر ممثلين عن (بعث) اللاذقية . فلما رفض الدكتور وهيب الغانم هذه الصيغة، سافر وفد كبير من (البعث) في دمشق الى اللاذقية ، كان على راسه ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار ، وجرت مباحثات طويلة وفي العمق ، للاتفاق على شروط عقد المؤتمر التاسيسي ، فتاخر انعقاد هذا المؤتمر حتى ٤ **نيسان ١٩٤٧** . وسياتي الحديث بالتفصيل عن هذه المحادثات في فصل قادم .

د / ٤ ـ (البعث) وحزب (الاستقلال) العراقي

تخطي حزب البعث العربي في علاقـاته بالاحزاب الاخرى في هذه المرحلة ، حدود القطر العربي السوري ، واقام بداية علاقـة بحزب **الاستقلال العراقي** ، وذلك بمناسبة تبني هذا الحزب الدعوة الى مؤتمر شعبي عربي لدراسة انشاء جامعة عربية شعبية ، كان (البعث العربي) قد دعا اليها من قبل . فوجـه الى رئيس حزب الاستقلال رسالة بتاريخ ٢ تشرين الثاني ١٩٤٦ ، جاء فيها :

« نرحب بدعوتكم ، ونوافق على أن تكون بغداد مقر الاجتماع (...) لما يتمتع به حزبكم من ثقة المناضلين في شتى انحاء العرب [ذلك] انكم اجدر من يضطلع بهذا المشروع » (٢٠) .

وقد كانت هذه الرسالة فاتحة علاقة من الصداقة بين الحزبين ، دامت حتى اوائل الخمسينات ، اما علاقات المودة التي ربطت بـين قـادة الحزبين على المستوى الشخصي ، فربمـا استمرت بعـد ذلك ايضا .

وحزب الاستقلال كان واحدا من الاحزاب العراقية التقليدية المعتدلة ، وكان ذا اتجـاه قومي عربي . وكان يبدو انه افضـل تنظيما ، واكثر نشاطا وحيوية من التكتلات السياسية العراقيـة التقليدية الاخرى . وكانت سياسته الخارجيـة ترمي الى الغـاء المعاهدة الانكليزية ـ العراقية المعقودة سنة ١٩٣٠ . وفيما بعد، كان في طليعة اهدافه تحرير فلسطين ، والاتحاد بين سورية والعراق ، والحياد في الصراع بين الشرق والغرب . اما في السياسة الداخلية فكان الحزب يطالب باقامة نظام « اشتراكي ديمقراطي » ، كما كان يدعو الى النضال ضد الاقطاعية والاحتكارات الاجنبية . اما على الصعيد التنظيمي ، فقد عقد مؤتمره الاول في ١٩ نيسان ١٩٤٦ ، وكان اعضاؤه يتألفون من البورجوازية الصغيرة في المدن ، ومـن الطلاب ، والمدرسين ، والعسكريين . ومن ابرز شخصياته : **محمد مهدي كبة** (رئيس الحزب) ، **وابراهيم الراوي** (نائب الرئيس) ، **وفائق السامرائي ، ومحمود الدرة ، وصديق شنشل** (الذي كانت تربطه علاقات صداقة شخصية مع قادة حزب (البعث العربي) .

د/ ٥ ـ العلاقات السياسية الشخصية

من الطبيعي ان قادة (البعث) كانوا يقيمون علاقات سياسية شخصية ، ولكن هـذه العلاقات ، لدى قادة الحزب ، في هـذه

المرحلة ، اخذت تنحسر لصالح العلاقات الحزبية السياسية . ففي الرسالة التي وجههـا ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطـار الى « الصديق الوفي عبد المنعم بك الرفاعي الاكرم » بتاريخ ١١ شباط ١٩٤٦ ، اعتذار عن قصورهما في الرد على «رسالتيه الاولى والثانية» ، بسبب « هموم الاعمال ومتاعب الاحوال ، [وكذلك] ما اعلمتنا عن احتمال عودتك الى مركزك في دمشق » . ويظهر في هـذه الرسالة ان كاتبيها منصرفان عن القيام بالواجبات ، التي تفرضها الصداقة ، الى (متاعب الاحوال) السياسية ، كمـا يظهر فيها غلبـة الشأن السياسي على تفكيرهما ، فلم ينسيا ، بعد عبارات المجاملة ، ان يذكرا صديقهما بأن شرقي الاردن جزء عزيز مـن سورية ، وان يعربا عن املهما في ان يدخل العرب «طريق الوحدة الحقيقية » التي لا يستطيعون من دونها نشر رسالتهم الخالدة » (٢١) .

والى العدد القادم

ـ الهوامش ـ

١ ـ المقابلة التي اجريناها مع الدكتور مدحة البيطار ، وهي مسجلة بصوته على شريط محفوظ في القيادة القومية .

٢ ـ نقلا عن (نضال البعث) ، م . ن . ، ص ٦١ ـ ٦٢ .

٣ ـ صدر البيـان بعنوان (ياشعب سورية العربي) . نصه الكامل في (نضال البعث) ، م.ن. ، ص ٦٣ ـ ٦٤ ، وهو بتوقيع ميشيل عفلق .

٤ ـ هذه العبارة مطبوعة بحروف سوداء بارزة في الاصل .

٥ ـ المقابلة المذكورة في الهامش رقم ١ . اقوال الدكتور مدحة البيطار الواردة في هذه الحلقة مستقاة كلها من هذه المقابلة .

٦ ـ كان للحزب الشيوعي السوري مقرات علنية في معظم المدن السورية ، وحتى في بعض القرى . واستمر الامر على هذا النحو حتى صدور قرار تقسيم فلسطين في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ ، بتاييد من الاتحاد السوفياتي . ففي اثر هذا القرار هاجمت الجماهير الغاضبة في دمشق مقر الحزب الشيوعي ، واحرقته . بعد ذلك اغلقت الحكومة مكاتب الحزب في جميع انحاء سورية .

٧ ـ (نضال البعث) ، م.ن. ، ص ٦٠ ـ ٦١ .

٨ ـ ما زالت ماثلة في ذهني صورة الاحتفالات بنصر الحلفاء ، التي شهدتها بام عيني ، وانا فتى في الرابعة عشرة مـن عمري ، في شوارع اللاذقيـة : خليط صاخب من المدنيين والجنود الفرنسيين والمحليين من قوات الاحتلال الفرنسية ، علت فيه عربدة السكارى وشتائم المخمورين . واذا كنت لم ادرك بوضوح لمن كان هؤلاء السكارى يوجهون شتائمهم على وجه التحديد ، وهي الشتائم التي افضت الى بعض

المنادات والمشاجرات الجانبية ، فانني ما زلت اذكر على وجه اليقين ان المحتفلين كانوا يرفعون الاعلام الفرنسية الى جانب رايات حمراء ضخمة ، ويحملون صور ستالين الى جانب صور الجنرال ديغول رئيس حكومة « فرنسا الحرة » ، التي كانت قواتها ما تزال تحتل سورية في ذلك الحين .

٩ ـ ظل الحزب الشيوعي حزبا واحدا في سورية ولبنان ، باسم (الحزب الشيوعي السوري ـ اللبناني) ، او الحزب الشيوعي في سورية ولبنان ، حتى اعلن استقلال سورية ولبنان في العام ١٩٤١ في دولتين منفصلتين . بعدئذ انقسم الحزب الشيوعي في سورية ولبنان الى حزبين مستقلين : الاول باسم (الحزب الشيوعي السوري) ، والثاني باسم (الحزب الشيوعي اللبناني) .

١٠ ـ لمزيد من المعلومات عن هذا المؤتمر ومقرراته انظر : محمد كامل الخطيب : الانقسام الكبير ، مجلة (الطريق) ، العدد الرابع ، آب/اغسطس١٩٨٩، ص ١١١ ـ ١٢٠ . ومحمد كامل الخطيب : مؤتمر زحلة ١٩٣٤ وتحولاته ، مجلة (دراسات اشتراكية) ، العدد ١١٣ ، ايار ١٩٩١ ، ص ٨٢ ـ ١٠٩ .

١١ ـ انظر نص كراسة (في سبيل الوحدة العربية) كاملا في : سليم خياطة، الاعمال الكاملة ، م ٢ ، الكتب الفكرية ، تحقيق وتقديم محمد كامل الخطيب ، دار الانوار للطباعة ، دمشق ، ١٩٩٠ ، ص ٢٧ ـ ٣٩ .

١٢ ـ للدقة والانصاف لابد من القول ان بين وثيقة زحلة ومبادىء (البعث العربي) ، كما عبر عنها دستور الحزب عام ١٩٤٧ ، او كما عبرت عنها (الاهداف والغايات) عام ١٩٤٢ ، فرقين اساسيين ، لا يجوز اغفالهما . فالبند الرابع عشر من وثيقة زحلة يدعو الى الفصل بين الدين والسياسة ، او الفصل بين الدين والدولة (اي العلمانية) فصلا تاما مطلقا . كذلك جاء في مقدمة كراسة (في سبيل الوحدة العربية) ان القومية « لايمكن ان تبنى في هذا العصر على الدين (...) وان الشعور بالرابطة القومية يجب ان يتغلب على الشعور بالرابطة الدينية » ، في حين ان ادبيات البعث في الاربعينات (ولا سيما كتابات ميشيل عفلق) كانت مشبعة بنزعة روحية ايمانية دينية واضحة ، ان لم تقل اسلامية . هذا هو الفرق الاساسي الاول ، وهناك فارق آخر يتمثل في ان وثيقة زحلة كانت تعبر عن تطلع مستقبلي : جاء في هذه الوثيقة ان تحقيق الوحدة العربية « لا يمكن ان يكون بالرجوع الى الوراء ، بل بالسير الى الامام ، اي ان الاوضاع ، التي قامت عليها السلطة العربية القديمة اصبحت غير متناسقة مع ما يتطلبه العصر الحاضر . فالحضارة الحديثة اكتسبت اوضاعا لايمكننا اهمالها وانكارها ، فمن اوضاع الحضارة العالمية يجب ان نستمد ما يوافق حالتنا السياسية ، ونبني عليه بناء جديدا » . اما ادبيات (البعث) في الاربعينات ، (ولا سيما كتابات عفلق) ، فكانت توحي بان مفهوم القومية العربية مفهوم يغلب عليه الاتجاه الى الماضي ، فالقومية ليست الا حالة من وعي الذات القومية ، او وعي ماضي الامة . وبهذا

الفهم « الماضوي » تأخذ كلمة « البعث » ـ وكذلك كلمة « الاحياء » ـ معناها الدقيق وبعدها الكامل .

١٣ ـ عالجت المادة ١١ من المبادىء العامة في دستور حزب (البعث العربي) مسألة الاقليات القومية على النحو التالي : « يجلى عن الوطن العربي كل من دعا ، او انضم ، الى تكتل عنصري ضد العرب ، وكل من هاجر الى الوطن العربي لغاية استعمارية » . اما (الاهداف والغايات) فقد عالجت هذه المسألة ، في البند (٥) من الفقرة (آ) ، على نحو يعد خطوة الى الوراء بالقياس الى نص وثيقة زحلة . (راجع نص «الاهداف والغايات »، الذي اوردناه في الحلقة الثامنة من هذه السلسلة، المنشورة في « المناضل » ، العدد ٢٥٣ ، آذار / نيسان ١٩٩٢ ، ولا سيما الصفحة ٣٠) .

١٤ ـ هذه هي الجملة ، التي جعلها سليم خياطة جملة الختام في بيان زحلة عام ١٩٣٤ .

١٥ ـ انظر نص هذه المقالة كاملا في : سليم خياطة ، الاعمال الكاملة،م١ ، المقالات ، اعداد وتقديم محمد كامل الخطيب ، ط ١ ، دمشق ١٩٨٩ ، ص ٢٧١ ـ ٢٧٩ . والمقالة منشورة في الاصل في مجلة (الطليعة) الدمشقية ، العدد الرابع ، حزيران ١٩٣٦ .

١٦ ـ يبدو ان « المجالس » هنا هي الترجمة العربية لكلمة « السوفياتي ».

١٧ ـ سامي الجندي : (البعث) ، م.ن. ، ص ٣٦ .

١٨ ـ محمد غريب من مهاجري اللواء ، وكان محاميا حديث التخرج من معهد الحقوق بدمشق . غادر سورية ، بعد فترة وجيزة ،لدراسة الطب في المانيا. فلما تخرج طبيبا عاد الى لواء الاسكندرونة واستقر هناك ، حيث اخذ يمارس الطب منذ ذلك الحين . اما احمد ابراهيم عبد الله فهو شاعر مطبوع لا يشق له غبار ، يمتاز شعره بالدعابة الساخرة ، والرقة ، والعذوبة ، اما قوافيه فكانت من السهل الممتنع . سافر الى بغداد ، بعد وقت قصير من توقيع البيان ، مع عدد من الطلاب اللوائيين (وهو ليس لوائيا ، وانما من قرية قريبة من مدينة اللاذقية) لمتابعة تحصيله العلمي في الجامعة ، فانقطعت صلته بالحزب ، على الصعيد التنظيمي الرسمي ، وان ظل وفيا لاصدقائه البعثيين على المستوى الشخصي، وحافظ على صداقته الحميمة معهم ، حتى وفاته منذ سنتين ونيف .

١٩ ـ (نضال البعث) ، م.ن. ، ص ٧٠ .

٢٠ ـ انظر نص الرسالة الكامل في (نضال البعث) ، م.ن. ، ص ١٣٤ .

٢١ ـ انظر صورة هذه الرسالة في جريدة (الراي) الاردنية ، العدد ٦٢٢٨ ، المؤرخ في ٤ آب ١٩٨٧ ، وهي بخط صلاح الدين البيطار ، ووقعها الى جانبه ميشيل عفلق .

الوحدة الوطنية أساس النظام السياسي في سورية..

الرفيق: فايز عز الدين

● **في خطابه امام مجلس الشعب ، بمناسبة اداء القسم للولاية الدستورية الجديدة ، قال الرفيق الامين العام للحزب :**

« لقد كانت بيعة الشعب غالية في معناها ، وعظيمة في مضمونها ، حيث خرجت الملايين من السوريين الى الساحات والشوارع، في المدن والقرى، لتعلن للعالم اجمع ان الوحدة الوطنية في سورية اضحت نظاما سياسيا، واقتصاديا ، واجتماعيا متكامل الابعاد ، ويمتد في جذوره الى اعماق الشعب ، لقد اصبح هذا النهج نهجا قوامه التحالف ، والتعاضد ، والتآزر . » .

ان القراءة التحليلية ، في النص ، تقف بنا عند بعض المحددات الهامة ، التي تشكل ـ من حيث المنطلق آفاق الرؤية ، في مضمون ما سيأتي ، ونحن ننتقل ـ في المنهج ـ من الفكر التحليلي ، الى الفكر التركيبي .

آ) ـ المعنى الاجتماعي والسياسي من هذا التعبير الجمعي لجماهير الشعب، وهي تجدد البيعة لقائد المسيرة التاريخية .

ب) ـ صورة الاداء الوطني للجماهير، التي تعكس الحالة الوطنية المتفردة، في التفافها حول النظام السياسي .

جـ) ـ بروز حالة التعلق الشعبي بالقائد الامل ، عبر عاطفة ولا اروع ، متسمة بالواقعية والطموح .

د) ـ انتقال حس الشعب ، من وطنية الجغرافيا الصغرى ، الى وطنية الوطن ، بكل ابعادها ومفاهيمها .

هـ) ـ تبلور مفهوم الوحدة الوطنية لتضحي نظاما سياسيا ، واقتصاديا ، واجتماعيا متكامل الابعاد .

وهكذا ، فالمادة الفكرية التي احتوى عليها مضمون النص المقتطف من كلمة الرفيق القائد ، تسعفنا في ان نقول :

. . . ان القاعدة السياسية للعمل الاجتماعي في سورية قد تبدلت صورتها بعد الحركة التصحيحية، وحكمة القيادة التاريخية، بما قدم السببيات الكافية لانتصار نهج الوحدة الوطنية ، ودخول سورية حالة نوعية من حالات الوحدة الوطنية لجماهير الشعب ، وهذه الحالة المعنية ، سوف تبقى دلالاتها ، من وجهة نظر السوسيولوجية الاجتماعية ، معبرة عن وحدة الاندماج الاجتماعي والسياسي في الحالة الوطنية والقومية للمواطنين العرب السوريين.

★ ـ النظام السياسي والمسالة الاجتماعية :

يرث النظام السياسي الذي ينشا في اي بلد تركيبة اجتماعية متعددة الاتجاهات حسب التقسيم الاجتماعي القائم ، ولا يخفى على الباحث السياسي او الاجتماعي أن ايديولوجيا الكادحين دائما تبسط اسطورة مجتمع من غير استغلال ، مجتمع العادلين ، حيث اللغة واضحة ، وحيث الحوار يصبح مصدر ارادة عامة تكون في الوقت نفسه ارادة جماعية لهؤلاء . وايديولوجيا الاغنياء دائما تبسط اسطورة مجتمع يقوم على اساس قوة الاجهزة الدعائية في اقناع الناس بأن المستقبل متحقق فيها .(١)

وبدون أن يحوجنا البرهان على هذه المسالة للدخول في بعض التفصيلات ، يمكننا ان نؤكد على أن نجاح النظام السياسي مرتبط بنسبة تعبيره عن طموح الشعب بمختلف تقسيماته الاجتماعية الطبقية ، ولاسيما حين يكون الوطن لا يزال في مرحلة التحرر من الاستعمار بصوره المختلفة ، مثلما الحالة التي نحياها نحن في سورية ، فالمعادلة التي تفرض نفسها على النظام السياسي هي :

صورة التفاعل المطلوبة بين القاعدة السياسية للعمل الاجتماعي. وبين القاعدة الاجتماعية للعمل السياسي.

اذ يتوقف ـ على حل هذه المعادلة ـ نجاح النظام السياسي في انجاز المهمتين معا : مهمة الثورة السياسية على الصعيد الاجتماعي بحيث يتلاقى الشعب ، في وحدة مجتمعية اساسها الوطن وأهداف الوطن . ومهمة الثورة الاجتماعية بأفقها **الوطني العلماني الديمقراطي والقومي التحرري التوحيدي** ، على صعيد وطننا العربي الكبير ، ومن المعلوم ان هاتين المهمتين متداخلتان في نسيج متكامل ، بحيث

ان الواحدة تقدم للاخرى ، وتستدعيها ، فتحققها، وتتحقق فيها .

وحين نحلل اللوحة الاجتماعية في بلدنا سورية ـ **قبل ثورة الثامن من آذار وبعدها** ـ سوف نجد ان الثورة كانت ـ مباشرة ـ امام العديد من المهمات الوطنية ذات الافق السياسي، الديمقراطي، التحرري . والعديد من المهمات القومية ذات الطابع نفسه .

وبالنظر لما مرت به ثورة آذار ، من ظروف ذاتية وموضوعية غير مستقرة ، لم تتمكن معها من حل المعادلة الآنفة الذكر ، بقيت صورة التفاعل بين العمل السياسي اجتماعيا ، والعمل الاجتماعي سياسيا غير متوافرة ، وهذا ما جعل الثورة تتهدد في استمرارها، ويتهدد معها مصير الحزب القائد للثورة كذلك .

ولذلك فقد كانت **الحركة التصحيحية المجيدة** ، التي قادها الرفيق الامين العام للحزب في ١٦ تشرين الثاني ١٩٧٠ ، حاجة ماسة من حاجات حزبنا وشعبنا للنهوض من واقع الكبوة ، ودخول الشروط التاريخية التي تستجيب لمهمات **تحرير الوطن ، والانسان،** وصناعة الحاضر بروح مستقبلية طموحة .

★ ـ التصحيح والنهج الجديد :

فالحركة التصحيحية في نهجها التاريخي الجديد ، قد اعادت الحزب والثورة الى السياق التاريخي للكفاح الجماهيري ولكي تعلو قضية الحزب التي هي قضية الوطن في تحرر ارضه وانسانه، فقد كان توجه قائد المسيرة نحو ايجاد صيغ جديدة للعمل الوطني ذي الطابع العلماني الديمقراطي ، فكان في رأس هذه الصيغ صيغة الوحدة الوطنية للمرحلة التاريخية التي تشهد المزيد من العدوان من قبل اسرائيل وحلفائها .

ولذلك فقد اتجه خطاب القائد الى تنبيه الروح الوطنية في الفلاح ، والعامل ، والحرفي ، والشاب ، والمثقف والعسكري المناضل ، وفي كل الطبقات والفئات الغنية صاحبة رؤوس الاموال، كما اتجه الى القوى الاجتماعية والسياسية ، والروحية ، حتى يتضح للجميع أن قضية تحرير الوطن هي قضية الجميع ، وقضية الدفاع عن الارض هي قضية الجميع ، وان الوطن يحتاج اليوم لمواطنيه جميعهم .

فكان كلام القائد يمثل الدستور الجديد للعمل الوطني بالافق القومي حيث قال :

« الوطنية تعني ان نكون غيارى على كل ما في الوطن ، على الانسان ، والارض (...) ان نكون غيارى فنحافظ ، ونصون ، ونحسن كل شيء فوق ارض هذا الوطن ، وتحت سمائه . » (٢) .

كذلك كان بيان القيادة القطرية المؤقتة اعلانا صريحا حول ضرورة بذل كافة الجهود المخلصة من اجل حوار وطني ينتهي الى صيغة جبهوية للعمل الوطني والسياسي في سورية باعتبارين معا :

الاول : أن تصدي المرحلة السياسية الجديدة لتحدي عدوان الخامس من حزيران يقتضي الوحدة الوطنية لجماهير الشعب ، من منظور ان وحدة الارادة الجماهيرية هي الطريق الحاسم لتحقيق النصر .

الثاني : ان توجه الحركة التصحيحية نحو تعميق الكفاح الوطني الديمقراطي من اجل بناء مجتمع التقدم والاشتراكية قد هيأ الظروف المناسبة للحوار الوطني التقدمي على اساس جبهوي ، واستراتيجية عمل وطني مشترك ، تفتح الباب لتعميق مرحلة التحويل الديمقراطي لوسائل الانتاج .

وقد ورد في أدبيات الجبهة الوطنية التقدمية ـ كأهم مؤسسة من مؤسسات الوحدة الوطنية ـ ان قوى الجبهة تتطلع الى اهداف واحدة ، وتخاطب قطاعات اجتماعية واحدة (**عمال ، فلاحون ، جنود ، صغار كسبة ، مثقفون تقدميون**) وتسعى لقيام اوسع التحالف بين القوى الجماهيرية الشعبية ، من اجل زج طاقاتها في قضية تحرير تراب الوطن ، وانتصار ارادة توحيد الامة(٣) .

وعليه ، فان انجازات العقدين ونيف من تاريخ التصحيح والنهج الجديد ، تؤكد لنا ـ بوثوقية ـ ان المعادلة التي تقدم نفسها لكل نظام سياسي ، وتتمحور حول طبيعة العمل السياسي في الوضعية الاجتماعية المعنية ، وطبيعة العمل الاجتماعي في الوضعية السياسية المعنية ، وقد حلتها الحركة التصحيحية ـ بحكمة **قائد المسيرة التاريخية** ـ على الوجه الاكمل ، بحيث تغيرت البنية الداخلية للعمل الاجتماعي باتجاه الارتباط الكامل بالوطن والقيم الوطنية ، وبقضايا الوحدة الوطنية ، والتعبئة الوطنية لتحرير الارض ، كما تغيرت البنية الداخلية للعمل السياسي باتجاه وحدة **مصالح الحزب والجماهير** ، ووحدة مصير الحزب والجماهير ، والوحدة التنظيمية للحزب ، والدولة ، والجماهير في ظل القيادة الحكيمة للرفيق قائد المسيرة .

اذن ان سورية ـ في ظلال التصحيح والنهج الجديد ـ اصبحت

بلد التوجه الوطني من اجل الوحدة الاجتماعية والسياسية لجماهير الشعب ، وبلد التوجه القومي من اجل توحيد الامة العربية ، واقامة الدولة القومية للعرب ، تلك الدولة التي انهارت منذ القرون الوسطى ولم تزل .

وفيما اصبح يعرف عن النهج الوطني لسورية ، انه نهج يقوم على حب الوطن ، والغيرية تجاهه ، وتكريس الروح الجماعية والتضحية في سبيل الشعب بغير حدود ، **وقد انعكست ملامح هذا النهج في :**

- قوة الوحدة السياسية للشعب على اساس اهداف الوطن ، وتوهج المشاعر الوطنية المخلصة .
- وقوة الوحدة الاقتصادية للشعب على اساس تقوية الوطن ، وخلق مقومات اقتصاد التحرير .
- وقوة الوحدة الاجتماعية للشعب على اساس مثل الوطن وقيمه ومبادئه ، والتعلق بعناصر الوجود الحي .
- وقوة الوحدة الثقافية للشعب على اساس استلهام تراث الماضي ومنجزات الحاضر بافق المستقبل .
- وقوة ارادة الاعتماد على الذات ، وتحريض نزعة التحدي لدى المواطن لمواجهة متغيرات العصر النوعية .

★ _ تجليات الوحدة الوطنية في النظر والعمل :

وتفصيلا فيما سبق ، فقد رأينا أن نهج قائد التصحيح جعل من قضية وحدة الشعب ، ووحدة الوطن أهم قضايا المرحلة السياسية الجديدة ، وكان يصر _ عبر كل تحرك _ على انه قبل انجاز هذه القضية لا يمكن الحديث عن اية قوة في الحاضر وفي المستقبل .

والحال فقد رفع القائد شعار توحيد الشعب ، على اساس المهمات الوطنية المصيرية ، ولم تفتر له همة ، وهو ما يزال يخاطب :

- المواطن الفرد ، لكي يستنهض طاقته ، فالوطن يدعوه لاستنهاضها .
- والمواطنين عامة ، لكي يتجهوا نحو توطيد علاقات المحبة ، والتعاطف ، والتآزر .
- وللقوى السياسية ، لكي تجتهد اكثر في تنفيذ البرنامج الوطني على كافة الاصعدة .
- وللفعاليات الاقتصادية ، لكي تساهم في اعمار الوطن ، وتقوية اقتصاد التحرير والبناء .

- وللقوى الروحية ، لكي تقوي لدى الناس دافعية الجهاد المقدس من اجل تحرير الارض المغتصبة .
- وللمؤسسات والتنظيمات ، لكي تعمق نهج الديمقراطية ، الذي يقوي النظام السياسي للوطن .

وبروحية القائد المفكر ، الذي ينطلق **من الفكر العقلي ،ويدعمه بمعطيات الفكر المتطور** فقد صاغ القائد نهج الوحدة الوطنية لجماهير الشعب لينمو باتجاه التوحيد السياسي ، على قاعدته السياسية ، وليس على قاعدة الانفراد بالسلطة .

وينمو باتجاه التوحيد الاقتصادي ، على قاعدة التعددية الاقتصادية ، وليس على قاعدة تعطيل الادوار .

وينمو باتجاه التوحيد الاجتماعي ، على قاعدة القيم الوطنية والقومية وليس على قاعدة الموروث السلبي .

« ان الوحدة الوطنية ستظل القاعدة التي نعلي على اساسها بناءنا الداخلي ، وندعم تصدينا للمهمات الخارجية ، ونواجه القوى المعتدية ، وسياساتها العدوانية . » (٤)

فالوحدة الوطنية _ في نهج القائد _ توصي بوحدة المواطنين جميعهم ، وتحثهم على ان يضطلعوا بمهمات الوطن الاساسية ، وأن يشاركوا في معارك الوطن حتى الشهادة او النصر .

وتوصي القوى التي تشكل العمود الفقري لهذه الوحدة وهي :

(الجبهة الوطنية التقدمية ، والمنظمات الشعبية ، والنقابات المهنية ، ثم القوى الاجتماعية والروحية المخلصة لقضايا تحرير الوطن وبنائه .)

وما هو جدير بالذكر _ في هذا السياق _ ان البناء الوطني لسورية ، هو دائما وطني قومي ، اذ لم يكن حزبنا العظيم قطري التوجه عبر تاريخيته ، وهو ينظر دوما الى المصلحة القطرية من خلال المصلحة العربية العليا لمجموع الامة العربية (٥) . وقد تجسدت هذه السياسة _ باديء ذي بدء _ في دستور الحزب الصادر عن مؤتمره الاول ، وكرستها الثورة ، ثم تضمن ذلك الدستور الدائم للجمهورية العربية السورية الذي كان من أهم منجزات الحركة التصحيحية ، وكذلك تبني سياسة التكوين للذين هم منظمون ، في اطار التنظيمات الشعبية ، على هذه القاعدة الاستراتيجية الثابتة ، اي ان كل عمل قطري يجب أن يكون في خدمة المصلحة العليا لمجموع الامة ، بهدف تحقيق الدولة القومية للعرب .

وهذا النهج ، نهج الوحدة الوطنية ــ في ظل القيادة التاريخية ــ قد وفر المناخ الوطني المناسب ، لتفاعل قوى الوطن المخلصة ، وجعل الفرد المواطن يتحرك من محلية البيئة الصغيرة الضيقة ،الى جغرافية الوطن الواسعة ، اي من وطنية الجغرافيا الصغرى ،الى وطنية الوطن بكل أبعاده ومفاهيمه .

اذن ، لقد انتصر نهج الوحدة الوطنية في ان جعل القيمة الوحدوية الوطنية ، او الوطنية الوحدوية ، تعلو على اية قيمة محلية سلبية موروثة ضيقة ، سواء اكان ذلك مما يتصل بالمكان ، او الثقافة والوعي ، او التمذهب ، وفي هذا ما يجعل القيمةالقومية هي الاعلى كذلك ، من المحلي ، الى الوطني ، وعلى هذا الاساس ، صار المواطن في سورية ، يبني وينتج السياسة ، بالهدف الوطني التوحيدي ، والقومي التحريري .

وفي خطابه امام مجلس الشعب لولاية الدستورية الرابعة قال الرفيق قائد المسيرة :

« ومما يمض ويؤلم ان الزمن يمر وبعضنا غارق في ذاته ، يرى فيها حدود العالم ، دون ان يرى العالم حتى عالم امته ، لا يهتم بحركة المحيط البعيد والقريب الا بقدر صلته بالذات الشخصية . » (٧)

واذا كانت تجليات الوحدة الوطنية بين النظر والعمل قداتخذت طوابعها التي استعرضناها بالمنهج الاستقرائي فاننا نستطيع أن نثبت الحقائق التالية :

اولا : ان سورية اليوم ، في ظل القائد ، ونهج الوحدة الوطنية ، تشهد حالة من التلاحم الوطني ذي التوجه القومي التوحيدي التحرري، لم تصل اليها عبر تاريخها الحديث والمعاصر . ومن يتذكر افراح تجديد البيعة يتلمس ذلك .

ثانيا : ان سورية اليوم ، البلد العربي الذي يقدم تجربة رائدة في نظام الديمقراطية الشعبية ، القائمة على تعددية السياسة ، والاقتصاد، وحرية الفكر والوعي والمعتقد ، والتعبير .

ثالثا : ان سورية اليوم ، البلد العربي القوي بما يملك ، سياسيا ، واقتصاديا وحضاريا ، ودفاعيا ، وهذا يعني ان مواطنيها يطمئنون اليها كما يطمئن معهم المواطنون العرب الاخرون .

رابعا : ان قائد المسيرة التاريخية ، الرفيق المناضل حافظ الاسد ، قد حقق بعمله المتواصل ، ودأبه الشجاع هذا النهج التوحيدي الوطني، كقاعدة صلبة لوحدة الوطن الكبير ، ولذلك فقد خرجت الملايين من

السوريين لتعلن للعالم اجمع ان الوحدة الوطنية في سورية ، اصبحت نظاما سياسيا، واقتصاديا ، واجتماعيا ، متكامل الابعاد ، يمتد في جذوره الى اعماق جماهير الشعب ، وقد اصبح هذا النهج نهجا قوامه التحالف والتعاضد ، والتآزر .

فحين يكون تركيز القائد على ان الوطن ، سيبقى وطن الجميع ، وقيمة مملوكة من جماهيره ، وحاضره ومستقبله يتقرر بارادة مواطنيه ، ومبادىء الامة ، كذلك حين تغدو سورية رمزا حيالوحدة النضال العربي ضد الصهيونية ، ومشروعها السياسي ، عبر اصرارها على التوحيد الوطني لجماهير الشعب ، والتوحيد القومي لاقطار الامة العربية ، اذن هي القلعة لقومية الصامدة ، في الظروف العربية ، والدولية ، التي تتسم بالمزيد من الخطورة والتعقيد .

ولكي نحمي هذه القلعة ، علينا ان نتمسك ــ اكثر فأكثر ــ بنهج الوحدة الوطنية ، ونظامه السياسي ، والاقتصادي ، والاجتماعي وان ننفذ توجيه القائد الذي يحثنا على تحرير النفس من انانياتها ، والتمسك بالتعبير الجمعي ، وبالخلق الجمعي، وبالارادة الجماعية، فالوطن يحتاج اليوم الى الاعتماد على الذات ، في عصر احادية القطبية الدولية ، والهيمنة الاميركية، والاعتماد على الذات يستدعي منا ان تظهر فينا الانسان المخلص لارضه ، ووطنه، وامته، والمستعد لتحرير المحتل من ترابها . فالانسان الواعي ، المتنور ، المخلص ، هو اداة التوحيد الوطني ، وهو هدف الثورة ، وهو الغاية في نظام الوحدة الوطنية الذي نعيشه ، في ظل القيادة التاريخية للرفيق المناضل حافظ الاسد .

المراجع

١) ــ الموسوعة السوسيولوجية ، الجزء ٢ ص ٢٠٢ .
٢) ــ كذلك قال الاسد ص ٦٧٠ .
٣) ــ حافظ الاسد وتجربة الجبهة الوطنية التقدمية ــ د. رياض عواد ص ١١٠ .
٤) ــ كذلك قال الاسد ــ ص ٦٧٨ .
٥) ــ دستور الحزب ص ٨ .
٦) ــ نص خطاب الرفيق القائد ، منشورات دار البعث ١٩٩٢ ــ ص ٢٨ .

التفكير بصوت مرتفع :

حول رحيل بوش وقدوم كلينتون

من الذي يصنع السياسة الامريكية ؟

الرفيق : فوزي الجورة

حرص مستشارو الرئيس الاميركي كلينتون باستمرار اثناء الحملة الانتخابية الاميركية الاخيرة على تذكير انفسهم بالشعار السياسي المركزي لمرشحهم ، وذلك بتعليق ملصق على باب مقر الحملة في / ليتل روك / مكتوب عليه **« الاقتصاد ايها الغبي »** .

ومغزى هذا الشعار كان واضحا، فحالة الاستياء من السياسة الاقتصادية لجورج بوش كانت القوة الدافعة التي رجحت كفة الديمقراطيين ومرشحهم كلينتون في انتخابات تشرين الثاني الماضي .

وعد كلينتون الناخبين بالكثير في ما يتعلق بالاصلاح الاقتصادي ، وتعهد بجعل **الاقتصاد في صدارة أولويات ادارته** ، وكان من بين وعوده الكثيرة : صفقة في المدى القصير لحفز النمو الاقتصادي ، ومنح اعفاءات ضريبية للطبقات الوسطى ووضع برنامج لتدريب واعادة تأهيل العمال الذين فقدوا وظائفهم بسبب التغييرات الهيكلية التي شهدها الاقتصاد الاميركي ، وادعى كلينتون بانه سيحقق كل هذه الاهداف في الوقت نفسه الذي يخفض فيه العجز في الميزانية بمقدار النصف بحلول عام ١٩٩٦ .

تراجع كلينتون عن وعوده ..

اصطدم كلينتون منذ فوزه بالانتخابات بعدد من الوقائع

السياسية والاقتصادية وبدا فعلا باعادة النظر في ما طرحه من سياسات وقطعه من وعود ابان الحملة الانتخابية ، (نشرت ادارة بوش في ايامها الاخيرة تقديرات الميزانية التي تضمنت عجزا مقداره / ٣٠٠ / مليار دورلا تقريبا في السنة المالية ١٩٩٣ ، وهذا الرقم يزيد بمقدار / ٢٠ / مليار دولار على الرقم الذي توقعته الادارة في بداية الامر ، والاسوا من ذلك ان تقديرات الميزانية تشير الى عجز مقداره / ٤٠٠ / مليار دولار بحلول السنة المالية ١٩٩٧ ، ما لم تتخذ ادارة كلينتون خطوات جادة لاحتواء العجز) .

ثمة قرارات صعبة واخرى اسهل على الرئيس كلينتون ان يتخذها ، فالبرنامج الذي حمله الى البيت الابيض لم يحمل جديدا مقارنة ببرنامج جورج بوش في مجال السياسة الخارجية ، بل كان التنافس على اصوات الاميركيين يتم على ارض القضايا الداخلية الاقتصادية والاجتماعية .

وهنا نجح كلينتون في استقطاب الفئات الوسطى والدنيا والسود والملونين بسبب برنامجه الاقتصادي ـ الاجتماعي الذي يتجه نحو اعادة تنشيط دور الدولة في مجال الرعاية الاجتماعية والصحية ، وتأمين العمل وتخفيف الأعباء عن الطبقة الوسطى ، ونجح في استقطاب اصوات النساء بموقفه المؤيد للاجهاض .

ولكن بعد ان اصبح كلينتون داخل البيت الابيض بدات التكهنات حول تاخر البدء باقرار الخطة الاقتصادية ـ الاجتماعية الجديدة ، لابل بدأ الجمهوريون يغمزون من قناته انه سيخالف وعوده ، وسيعمد الى فرض الضرائب على الفئات الوسطى مجددا .

لقد تراجع الرئيس كلينتون حتى قبل ان يقسم اليمين عن عدد من الوعود التي كان قد قطعها ، كتخفيض العجز في المالية بنسبة النصف على اربع سنوات وتخفيض الضرائب على الطبقات الوسطى وتخفيض عدد موظفي البيت الابيض بنسبة ٢٥٪ اما التراجع الاخير فيتعلق باستقبال اللاجئين الهايتيين في الوقت الذي يتم فيه درس طلب اللجوء الذي تقدموا به .

وليس من الغريب ان يتغير برنامج كلينتون ، فالرؤساء الاميركيون الآخرون بدءا بجورج بوش وتعهده بعدم دفع الضرائب خلال حملته الانتخابية في العام ١٩٨٨ قد سبقه الى ذلك ، لكن ما هو غريب هو السرعة التي حصلت فيها هذه التغييرات وعدد الوعود التي ذهبت ادراج الرياح حتى الآن .

حتى بات السؤال الذي يطرح هو : هل ان كلينتون يشعر حقا انه مرتبط ببرنامجه ؟ ! .

ويضع هذا الامر على المحك مصداقية كلينتون الذي فاز على المرشح الجمهوري جورج بوش في الثالث من تشرين الثاني ١٩٩٢ قدم نفسه على انه سياسي مختلف ، ورجل من عامة الشعب يتكلم بصدق بالمقارنة مع رجال السياسة التقليديين ؟! ..

وحاول كلينتون خلال مؤتمر صحفي ان يبرر مصرحا : « انتخبني الاميركيون لانهم يدعمون المسائل الاساسية التي ارتكزت عليها حملتنا الانتخابية .. » ويبدو من كلامه هذا وكأن وعده بتخفيض الضرائب هو امر ثانوي .

وبدل من ان يتخذ موقفا دفاعيا قال كلينتون بكل « براعة » **ان هذه التغييرات جاءت كردة فعل رئيس دولة واجه ظروفا غير متوقعة ، وكدليل على احترامه الاشخاص الذين انتخبوه .**

وهناك مسالة اخرى اثارت الانتقادات خلال المرحلة الانتقالية ، وتثير حاليا تساؤلات متعددة حول المستقبل الا وهي نهج الحكم الذي ادى الى تأخيرات كبيرة ودورية ، والمعروف في / ليتل روك / أن كلينتون الذي شغل منصب حاكم / اركنسو / ١٢ سنة يعرف كافة المشاكل معرفة دقيقة وعميقة ، ويدقق في كل شاردة وواردة ، والمعروف عنه انه يحب الاستماع الى آراء ونصائح كثيرة ، لكن يصعب عليه الاختيار في نهاية المطاف .

عالم مضطرب ..

ان العالم الذي تشهد تنصيب كلينتون رئيسا ، عالم مضطرب وخطر اكثر من اي وقت مضى ، وهو بشكل امتحانا عسيرا وعجيبا لقدرة كلينتون الدبلوماسية والقيادية ، فهناك براميل بارود مهيأة للانفجار في كل قارة ، وهناك نزاعات مستديمة تغلي تحت السطح ، وسيواجه كلينتون وفريقه للشؤون الخارجية ضرورة اتخاذ قرارات خطيرة تختبر مدى تصميمهم ومدى مهاراتهم القيادية .

هل سيتبع كلينتون الخطوط العريضة لموقف ادارة جورج بوش تجاه المنطقة ، ام انه سيحدث تغييرا جذريا في الموقف الاميركي يؤثر سلبا على عملية السلام حول الشرق الاوسط ؟ .

من يصنع السياسة الاميركية ؟

فمن جهة لهذا السؤال ما يسوغه ، خصوصا ان كلينتون ادلى

بتصريحات مؤيدة لاسرائيل خلال حملته الانتخابية ، واغدق الوعود عليها ، ومثالا على ذلك ، قال كلينتون انه سيدعم اسرائيل **« حليفنا الديمقراطي الوحيد في الشرق الاوسط »** مضيفا **« ان القدس يجب ان تبقى عاصمة موحدة للدولة العبرية »** ، ومن جهة اخرى ، يبدو السؤال مبنيا ضمنيا على نظرية سياسية معينة قوامها : **ان الرئيس الاميركي هو الذي يصنع ويحدد الاطر العامة والرئيسية للسياسة الخارجية** ، ولذا فان اية محاولة موضوعية لفهم مضمون العلاقات الدولية الاميركية تتطلب معرفة الافكار والمبادىء السياسية والفلسفية التي يؤمن بها زعيم البيت الابيض .

هذه المقولة صحيحة نظريا ، حيث ان الدستور الاميركي اعطى الرئيس سلطات واسعة في مضمار صنع السياسة الخارجية ، وعلى رغم محاولة اعضاء الكونغرس تقييد سلطات الرئيس وتحديدها في هذا المضمار ، بعد التورط الاميركي في فيتنام ، ومشاركته في اخذ القرارات السياسية المهمة ، الا ان الرؤساء الاميركيين بغض النظر عن هويتهم الحزبية رفضوا تدخل الكونغرس في صنع السياسة الخارجية ، واعتبروها حكرا لهم ، ولكن هذا لايعني بالطبع ان الرؤساء الاميركيين واداراتهم استطاعوا ان يستأثروا بمجمل السياسة الخارجية ، ويهربوا من شبح الكونغرس ، فعلى العكس من ذلك فقد شهدت العقود الثلاثة الماضية صعود نفوذ الكونغرس ومشاركته العملية في ادارة العلاقات الدولية الاميركية من خلال تنسيق وتعاون كاملين مع البيت الابيض ، ويعتبر بعض الباحثين والمنظرين السياسيين الاميركيين ان من الصعب فهم طبيعة السياسة الخارجية واسسها من دون التركيز على الشراكة بين الكونغرس والبيت الابيض ، وهنا يمكن القول : **ان المظاهر الاعلانية لايمكن ان تكون المقياس ، بل الذي يجب ان تدرس بعمق مراكز القوى السياسية المتعددة التي تلعب دورا مهما في صنع السياسة الخارجية .**

عصر الحرب الباردة وما بعده ..

الامر العادي في الولايات المتحدة هو ان يذهب رئيس ويأتي رئيس ، وان يتم هذا الانتقال في هدوء وبغير عنف ، وان يضمن النظام السياسي الاميركي استمرار السياسة في خطوطها الرئيسية ولا يشذ الانتقال الراهن عن هذا النمط العادي ، فقد ذهب رئيس واتى رئيس ، وتم الانتقال في هدوء وبغير عنف ، وتوجد شواهد تؤكد ان آليات النظام السياسي الاميركي تعمل منذ مدة على تصحيح

برنامج كلينتون لينسجم مع قاعدة استمرار السياسة في خطوطها الرئيسية .

يحدث الانتقال من بوش الى كلينتون في مرحلة تمتد بين عصرين : عصر الحرب الباردة وعصر اخر ، وكما كان تشرشل مؤمنا عنيدا بعصر الامبراطورية وفلسفة الاستعمار ، **كان جورج بوش مؤمنا عنيدا بعصر الحرب الباردة وفلسفة هيمنة القوة الاميركية ،** وكما بقيت رموز الامبراطورية واشخاصها قوية تلعب دورا مهما – ولكن ضارا – في السياسة البريطانية بقي بوش وكبار موظفيه وطاقم كبير من الاكاديميين والعسكريين والمفكرين يلعبون دورا مهما – وايضا ضارا – في السياسة الاميركية ، ولكن تشبيه الحال الاميركية الراهنة بالحال البريطانية في الاربعينات غير كامل تماما ، اذ بينما يتشابه تشرشل وبوش في اكثر من صفة ومجال ، يختلف / **كلينتون** / عن / **أتلي** / في كل شيء تقريبا ، فالرئيس الاميركي الجديد انتمى في وقت من الاوقات الى فرق ومبادىء تناهض سياسة الحرب الباردة وقيمها ، او انه يأتي ولديه قناعات اساسية ضد هذه الحرب ، وضد ما خلفته في العقل السياسي الاميركي من تقاليد وممارسات ولكن يعلم هذا الرئيس ان رموز هذه الحرب لاتزال قوية النفوذ ضاربة الجذور .

تركة بوش ..

هذه هي الحصة الاولى من التركة التي ورثها كلينتون عن بوش ، يرث نصيبه في الحرب الباردة : موظفين ومفكرين ، واعلاما ، وموازنة ، وعقيدة عسكرية ونظريات عن الحاجة الاميركية الدائمة الى عدو خارجي ، وكلها لم يحاول بوش تصفيتها او اضعافها ، **بل على العكس كان يدعمها ويقويها .**

وترك بوش خلفه قضايا كثيرة اخرى واغلبها بالغ التعقيد ولم يحاول تسويتها ، او حاول بتردد وميوعة وفشل ، فخلف عددا هائلا من القضايا التي تناثرت خلال انهيار الاتحاد السوفياتي وبعده .

ورث كلينتون نصيبه من الفوضى العالمية لايعرف التاريخ الحديث مثيلا لها ، وورث غموضا لم يشهد الفكر السياسي مثيلا له منذ بدء صياغة واستقرار مفاهيم معينة في منتصف القرن السابع عشر ، لكنه يرث في الوقت نفسه عددا من المفاهيم المستحدثة اكثرها – حتى الآن على الاقل – .

حرب تجارية ..

ورث الرئيس كلينتون ايضا الحرب التجارية بين الولايات المتحدة وبين اوروبا ، فاكد أنه سيستخدم السياسة التجارية للدفاع عما يعتقد انها المصالح الاميركية وادت تحركاته بشأن استيراد الحديد الى امتعاض في المجموعة الاوروبية ومن دول اخرى تضررت بالرسوم الضريبة ، وظهر الاقتراح الاخير بامتناع العديد من الهيئات العامة الاميركية من استخدام مقاولين من المجموعة الاوروبية لتنفيذ عقود في قطاعات عديدة من بينها الانشاءات والاتصالات ، وتقول الادارة الاميركية انها بهذه الخطوة ترد على قانون للمجموعة الاوروبية بشأن الاعمال العامة ، بينما تعتقد المجموعة الاوروبية انها تفتح هذا القطاع امام منافسة اوسع ، لكن الاميركيين يعتبرونه جزءا من سياسة حمائية ، ويعكس هذا الموقف قلقا من الولايات المتحدة ودول اخرى من برنامج السوق الاوروبي الموحد لعام ١٩٩٢ على اساس ان ازالة القيود التجارية بين دول المجموعة ستقيم قيودا امام الدول الخارجية ، عدا عن الحرب التجارية في مجال الزراعة التي اخذت بعدا كبيرا .

كما ان واشنطن متورطة في صراع آخر حيث انضمت كوريا الجنوبية واليابان الى قائمة منتقدي قرار الولايات المتحدة الاميركية بفرض رسوم ضريبية على بعض الاستيراد من الحديد والصلب ؛ وكانت واشنطن قد اتهمت تسعة عشر بلدا باغراق السوق الاميركي بالحديد والصلب رخيصي الثمن ، غير ان كوريا الجنوبية هاجمت هذه الخطوة باعتبارها حمائية ، بينما عبرت اليابان والتي هي اكبر مصدر للحديد والصلب الى الولايات المتحدة الاميركية عن قلقها العميق .

ما اتخذه بوش ..

لقد اتخذ الرئيس بوش قرارات هامة ومواقف سياسية هامة قبل خروجه من البيت الابيض بأيام معدودة اهمها :

– ارسال قوات اميركية الى الصومال تحت غطاء الشرعية الدولية ؛ وهي ثاني اكبر قوات مسلحة خرجت من الاراضي الاميركية ؛ بعد تلك التي شاركت في حرب الخليج .

– توقيع معاهدة ستارت – ٢ – مع الرئيس الروسي يلتسين التي توصف **أنها الاهم في تاريخ البشرية** بحكم ما سيترتب عليها من القضاء على ما تبقى من الحرب الباردة ، ومن تدمير المخزون الهائل

للاسلحة النووية وتحييد مخاطرها ، (عمل بوش جاهدا من اجل توقيعها لترتبط بأسمه وباسم حزبه وباسم مدته في الرئاسة .

ـ **حرب الخليج وآثارها** ، (انتصار بوش فيها) ومرور اكثر من سنتين عليها وهذا مما فسح المجال لمعاديه في توجيه النقد اليه ، وصولا الى اتهامه مباشرة بأنه تعمد ترك صدام حسين في السلطة بالعراق ليبقى عنصر ضغط تجاه الآخرين ؟ ! . .

ـ **عملية السلام** التي بدأت حول الشرق الاوسط منذ اكثر من عام والتي لم تتوصل الى اية نتيجة على الرغم من جولات المباحثات المتعددة ، وكان يمكن لادارة بوش ان تقوم بدور فعال من اجل دفع مسيرة السلام الى الامام ، وان الرئيس بوش الذي طرح مبادرته المعروفة لتحقيق السلام والتي كانت تستند الى قراري مجلس الامن الدولي ٢٤٢ و ٣٣٨ ومبادلة الارض بالسلام ، كان بامكانه ان يقوم بدور للحفاظ عليها واجبار اسرائيل على تنفيذ القرارات الدولية .

والآن فهذه العملية ايضا من تركة الرئيس السابق بوش ، للرئيس الجديد كلينتون ، فكيف سيتعامل معها ؟ الايام المقبلة ستبين كل ذلك ، وهل سيكمل ما كان قد بداه سلفه ؟ ولا نقول هنا ان بوش حقق شيئا ، او تراجع عن دعم اسرائيل ، ان كل ما اعطى لاسرائيل زادها قوة ، وصلفا ، ورفضا للقرارات الدولية ، وزادها عدوانية والتفكير باحتلال اراض عربية جديدة واستقدام يهود جدد من شتات الدنيا ، واقامة مستوطنات تهودية جديدة جديدة الخ . .

اظهار التايد لاسرائيل . .

والآن كيف يمكننا ربط التحليل الموصوف في مسائل تخص السياسة الاميركية في الشرق الاوسط ؟ وقبل الاجابة على هذا السؤال يجب الاشارة الى ان تصريحات كلينتون المؤيدة لاسرائيل خلال الحملة الانتخابية لا تحمل بالضرورة مواقف اخيرة له بهذا الشأن ، فمن الوجهة التاريخية نلحظ ان معظم المرشحين الرئيسيين للرئاسة الاميركية كان عليهم ان يظهروا تايدهم لاسرائيل للحصول على اصوات ومساعدات اليهود في الولايات المتحدة ، وليس جون كينيدي ، وليندن جونسون ، وريتشارد نيكسون ، وريغان ، وحتى جيمي كارتر ، وبوش سوى شواهد على ذلك . **(تبرع اليهود على سبيل المثال لحملة كلينتون بما يقارب الـ ٦٠٪ من تكاليفها النهائية فيما صوت نحو ٨٠٪ منهم للحزب الديمقراطي وهذا يشرح تايد**

كلينتون « المطلق » لاسرائيل خلال حملته الانتخابية) ، هذا في الوقت الذي يجب ان لا ننسى ان بوش نفسه شعر بالحاجة الماسة لامدادها بقروض **العشرة مليارات دولار** خلال حملته الانتخابية .

ولهذا فانه من الخطأ التشديد على التصريحات الانتخابية للرؤساء الاميركيين لانه لا يمكن اعتبارها مؤشرا ومقياسا صحيحين لتنبؤ السلوك الاميركي على المسرح الدولي . .

ويجب ان تؤخذ نقطة هامة وهي انه توجد **ثوابت معينة** في الموقف الاميركي تجاه الشرق الاوسط لا يستطيع كلينتون او غيره من الرؤساء الاميركيين تخطيها او التخلي عنها من دون ثمن سياسي باهظ ، ولا تشكل هذه الثوابت ايديولوجية ثابتة ، بقدر ما تشكل مجموعة افكار معترف فيها بالنظام السياسي الاميركي .

يخطىء العرب اذا تصوروا ان كلينتون او غيره من القياديين الاميركيين يستطيع ان ينتهج خطا سياسيا معاديا لاسرائيل ، ولايمكن اعتبار هذا الاحتمال جديا ، وعلى ابعد احتمال لايمكن للعرب ان يعتمدوا على الولايات المتحدة أكثر من كونها وسيطا في الصراع العربي ـ الاسرائيلي والرغبة في ان يكون هذا الوسيط على الاقل غير منحاز ، وليس شريكا لعدونا وحليفا له ، لان الواقع يملي ذلك لان العلاقات بين واشنطن وتل ابيب لم تعد علاقات صداقة وتعاطف وتايد بل هي علاقات شراكة وتحالف وتقاسم مصالح ، ومن وجهة النظر الاميركية ان اسرائيل تشكل الحلقة الاساسية في مواجهة القوى القومية والتقدمية « والاصولية الاسلامية » ، ومن جهتها ستعمد القيادة الاسرائيلية تصوير نفسها كعامل للاستقرار ووسيلة فاعلة للغرب في المنطقة حيال التغيرات الجارية في النظام العالمي مع انتهاء الحرب الباردة ، وانحلال الاتحاد السوفياتي ، لان اسرائيل لم تعد تلعب دور الجبهة الامامية للغرب ضد الاتحاد السوفياتي ـ سابقا ـ وحرب الخليج دليل على ثانوية الدور الاسرائيلي في المنطقة ، وفي ضوء ذلك فسر الاسرائيليون فتور نهج ادارة بوش تجاههم .

والسؤال : هل يشكل الصراع العربي ـ الاسرائيلي المحور الرئيس لواشنطن في المنطقة ؟

ربما القراءة السابقة للتطورات تعطي انطباعا خاطئا عن سلم الاولويات للسياسة الاميركية في الشرق الاوسط ، لم يعد الصراع العربي ـ الاسرائيلي يشكل المحور الاساسي لواشنطن في المنطقة اذ

تقلصت اهميته وخطورته مع انتهاء الحرب الباردة بين المعسكرين الغربي والشرقي، وانهيار الامبراطورية السوفياتية، وعلينا التذكير انه ومنذ اواخر الستينات وما تبعها ارتبط الصراع العربي ـ الاسرائيلي ارتباطا وطيدا في المنافسة بين واشنطن وموسكو فمن وان انتهاء هذه المنافسة ادى الى تهميش اهمية هذا الصراع .

اي نظام هذا ؟

يكثر الكلام عن نظام عالمي جديد ، والبعض يزعم ان نظاما عالميا جديدا قد تشكل ، وبقي ان يكن هناك النظام الجديد في منطقة الشرق الاوسط ، وطبعا ليس هناك من نظام جديد لا في العالم ولا في المنطقة ، والنظام الجديد في المنطقة بالتحديد يبرز من خلال نجاح عملية السلام وتطبيق قرارات الشرعية الدولية ، سلام شامل عادل بعيد الارض والحقوق العربية لاصحابها الشرعيين ، فالنظام اذن هو تابع لعملية السلام وليس مستقلا عنها ابدا ، والسلام عملية صعبة، عملية تاريخية لايمكن تحقيقها دون جهد اقليمي واسع ، ودعم دولي مستمر ، والتزام امريكي جدي .

فالسلام في الشرق الاوسط يستدعي قفزات على المستويات كافة لان للسلام مقوماته ، ولا يمكن ان يقوم هذا السلام في ظل العقيدة الصهيونية التي تنتهجها اسرائيل في قيام دولة « اسرائيل الكبرى » وفهم « شعب الله المختار » .

المنطقة محور العراك السياسي ..

ان المنطقة منذ فجر التاريخ محور العراك السياسي الدولي ونقطة التنافس الاشد بين الامبراطوريات ، هكذا كانت بين الفرعونيين والبابليين ، وبين المكدونيين والفرس ، وبين البيزنطيين والعرب ، وبين اوروبا والعثمانيين ، وبين بريطانيا وفرنسا بعد الحرب العالمية الاولى ، وبين امريكا واوروبا بعد الحرب العالمية الثانية وبين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ابان الحرب الباردة ، وقد نشأت في خضم هذه الصراعات قوميات مختلفة ومصالح متضاربة ، وتحالفات معقدة كلها بحاجة الى التوفيق حتى تتوصل الى قواسم تجمع بين هذه الدول والقوميات والتيارات .

النظام العالمي الجديد يبحث في واشنطن ..

الشيء المؤسف ان مشروع النظام الجديد للعالم والمنطقة يبحث خارج المنطقة ، يبحث في الغرب ، وفي واشنطن بالذات من قبل مفكرين وخبراء (وبالاخص اليهود) ويبحث في المؤسسات والجامعات وفي مراكز البحوث ، وفي مكاتب الحزب الديمقراطي الحاكم ويقدمون اقتراحاتهم للرئيس ـ كلينتون ـ وينشرونها ويتحاورون فيها بشكل مستمر ، وهم لا يميزون بين السلام والنظام العالمي الجديد ، والافكار التي يطرحونها في عملية السلام الشرق اوسطي هي في ذاتها تقررمعالم النظام الجديد وتكون جزءا لايتجزامنه .

هل من هوية جديدة للولايات المتحدة ؟

ان امام كلينتون مهمات صعبة اشتمل عليها برنامجه الانتخابي ولكن امامه ايضا تركة ـ كما اسلفنا ـ مثقلة بالمشكلات التي خلفها الرئيس بوش امامه مشكلات عصر ينقضي ، ومشكلات عصر يبدأ ، ومشكلات عابرة للعصور كمشكلة الشرق الاوسط ، ولكن في مقدمة هذه المشكلات جميعا ،مشكلة اعادة تعريف الولايات المتحدةالامريكية (حسب راي الخبراء الامريكيين) لانه في اواخر حكم بوش ،وبسبب تضارب ممارساته ، وتدهور سياساته ، وتقلبات اهوائه ومزاجه ، احتار العالم في فهم الولايات المتحدة ، واحتارت الولايات المتحدة في فهم نفسها ، والى ان ينجح كلينتون في صياغة دور جديد وواضح لامريكا ، وفي اعادة فرز القيم والمبادىء ، وفي كسب ثقة المجتمع الدولي من اجل تشكيل رؤية مشتركة لمستقبل العالم ، الى ان ينجح كلينتون ، في كل هذا او في اغلبه تبقى الفوضى الدوليةمرشحة للاستمرار وتبقى الشرعية الدولية مطية للارادة الامريكية ، وتبقى ازمة المجتمع الامريكي محتدمة ومتفاقمة .

اما كيف سيطبق كلينتون هذه المبادىء في الممارسة العملية ، وفي القرارات العملية الخارجية، فذلك ينبغي انتظاره . كيف ستدير ادارة كلينتون امر التركيز الدقيق والمتواصل على القضايا الاقتصادية الداخلية بموازاة الاستجابة للقضايا والازمات الخارجية المتعددة،والانخراط في العالم،تلك قصة ستحدد نجاحه او اخفاقه.

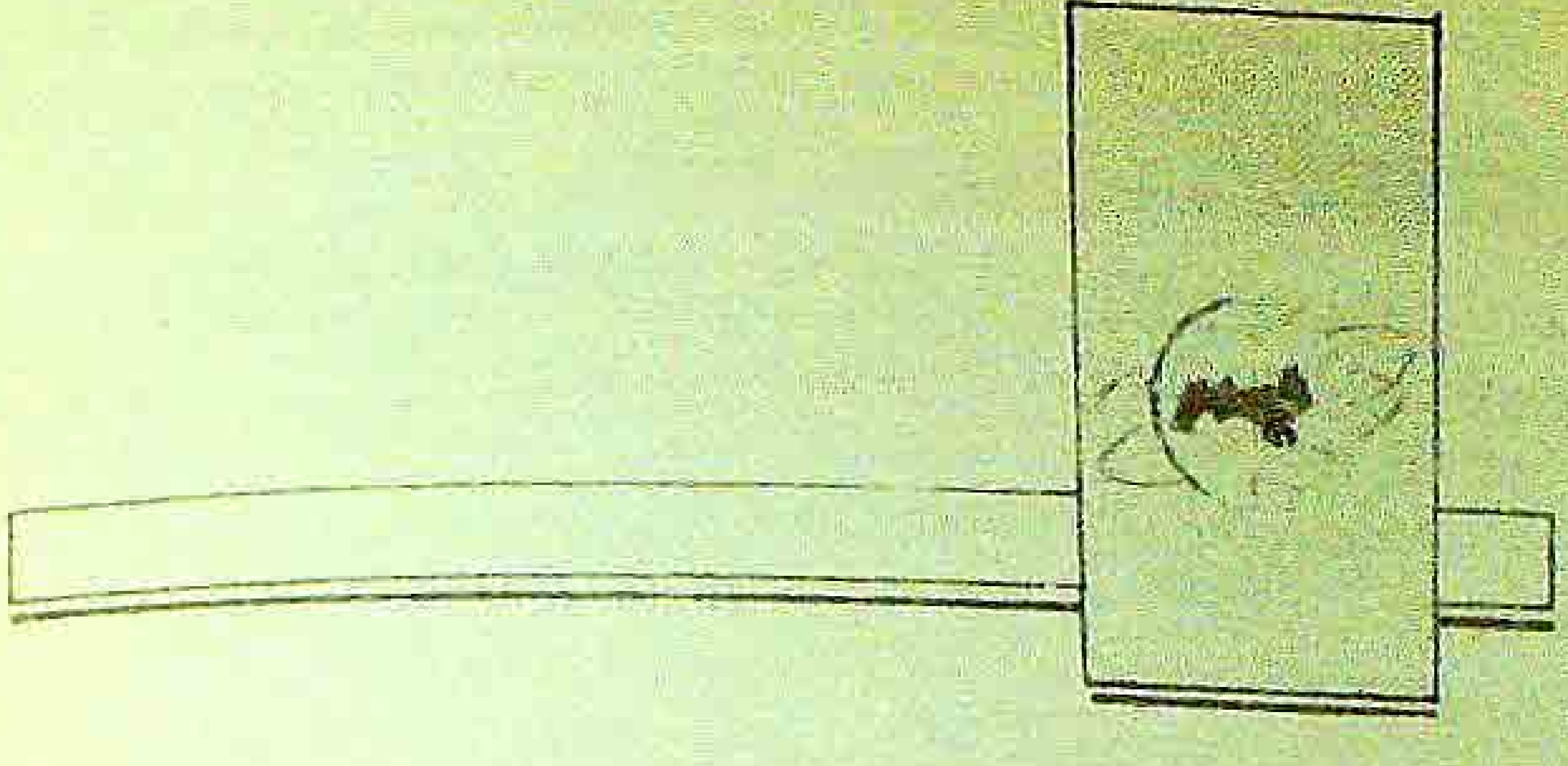

قرار الابعاد في ميزان الشرعية الدولية..

الرفيقة: ليلى محفوض

جاءت عملية الابعاد التي طالت / ٤١٣ / شخصية فلسطينية من الاراضي العربية المحتلة ، وسط اجواء محمومة تمر بها المنطقة مما اعاد خلط الاوراق فيها . ولا سيما ما يتعلق منها بعملية السلام وترتيب البيت اللبناني والدور الامريكي الجديد مع استلام الرئيس بيل كلينتون زمام السلطة في البيت الابيض خلفا للرئيس السابق جورج بوش . وليس خافيا ان « اسرائيل » ارادت جعل قضية المبعدين نوعا من اختبار قوة ترمي من ورائه الى اثبات سيطرتها على الوضع القائم في المنطقة وقدرتها على التحكم بمسار الاحداث فيها . وتستبق به الادارة الامريكية الجديدة موجهة اليها رسالة مفادها ان شيئا لا يمكن ان يتم الا بموافقتها وشروطها ، لكن الذي ثبت حتى الآن ان الحسابات المشهورة بدقتها قد فشلت في تقييم **ردود الفعل الفلسطينية والعربية والدولية** ، واخفقت في التحسب للتاثيرات الآنية والمستقبلية لذلك الاجراء .

ففي البداية حاولت « اسرائيل » ان توحي ان ابعاد ذلك العدد من المواطنين الفلسطينيين **وهو الاكبر منذ حزيران / ١٩٦٧ /** انما جاء ردا على اختطاف واعدام الرقيب الاسرائيلي « نسيم توليدانو » بعد ان رفض اسحق رابين الافراج عن الشيخ « احمد

ياسين » المعتقل منذ ثلاث سنوات مقابل الافراج عن العسكري المختطف وتصاعد فعاليات الانتفاضة التي تركز على مواجهة الدوريات العسكرية ، ولكن تبين بعد ايام قليلة ان خطة الابعاد كانت موضوعة منذ عدة اسابيع ، وكان مقتل « توليدانو » الذريعة التي نجحت بها حكومة رابين واستهدفت بها ضرب عصفورين بحجر واحد .

الاول : تفريغ الاراضي العربية المحتلة من عدد كبير من قيادات الانتفاضة النشطة ، مما قد يؤدي الى توجيه ضربة شديدة القوة للانتفاضة .

والثاني : احياء مبدأ **الترحيل الجماعي** للفلسطينيين بهدف تفريغ الاراضي المحتلة من سكانها الاصليين وتوفير الشروط لاستقدام المزيد من المهاجرين اليهود الى تلك الاراضي ..

والسؤال المطروح الآن ... الى اي مدى حققت « اسرائيل » اهدافها . وما هي نسبة الخسائر والارباح في عملية الابعاد بالنسبة لمختلف اطراف الصراع في المنطقة من جهة .. وعلى الصعيد الدولي من جهة اخرى ... ؟

الاجابة على هذه الاسئلة تتبلور على ثلاثة مستويات **«اسرائيليا» وعربيا ودوليا ..**

ـ **المستوى « الاسرائيلي »** : اعتقد ان الحصيلة كانت سلبية تماما فرغم ان الابعاد حاز على اجماع سياسي من مختلف الاحزاب الصهيونية سواء الحاكمة منها او المعارضة ، الا انه اثار انقساما في الراي العام وبلبلة قانونية هي الاخطر من نوعها في الكيان الصهيوني ، فالقرار بحد ذاته ، والطريقة التي صدر بها كانا مخالفين للدستور الاسرائيلي نفسه ، وبحيث اضطرت حكومة رابين الى ممارسة ضغط علني على المحكمة الاسرائيلية العليا للموافقة على قرار الابعاد ، وذلك ما عبر عنه رئيس اركان الجيش الاسرائيلي عندما ابلغ المحكمة ان الطعن في عملية الابعاد يشكل انتصارا للانتفاضة ، اما مستشار رئيس وزراء اسرائيل القضائي فقال للقضاة السبعة **« ان امن اسرائيل هو فوق اي قانون او اعتبار » .. !**

وبالنسبة للانتفاضة فقد خاب امل رابين في ان يؤدي الابعاد الى شل حركتها او تحجيم فعالياتها ، بل العكس هو الذي حصل .

فقد شهدت الاراضي العربية المحتلة ، ومنذ / ١٧ / كانون اول الماضي وهو يوم الابعاد ، تصاعدا ملحوظا في نشاطات الانتفاضة وعمت المواجهات والاشتباكات الدامية مختلف انحاء الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين مما ادى الى سقوط عشرات الشهداء ومئات الجرحى الفلسطينيين برصاص قوات الاحتلال وآلاف المعتقلين في سجونه . وازاء ذلك المأزق حاول رابين طرح ما اسماه حلا وسطا وهو يقضي بتراجعه عن قرار الابعاد واعادة المواطنين الفلسطينيين الى وطنهم في حال توقف الانتفاضة لفترة ما بين / ٩ — ١٢ / شهرا ولكن ذلك الاقتراح جوبه برفض حازم من قيادة الانتفاضة والمبعدين، حيث اكدت الانتفاضة **انها مستمرة الى ان تتحقق اهدافها في تحرير الاراضي المحتلة واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة .**

المستوى العربي : شكل الابعاد ما يشبه الصدمة على المستوى العربي اذ اكد بما لا يقبل الشك ان اسرائيل كعهدها دائما ، ليست ابدا في وارد السلام من قريب او بعيد ؛ فاجراءاتها ضد الفلسطينيين وممارساتها القمعية في الاراضي المحتلة ، مضافا اليها موقفها المتعنت من محادثات السلام الثنائية ، تدل على ان شيئا لم يتغير في التفكير التقليدي الصهيوني القائم على مواصلة احتلال الاراضي العربية وانكار حقوق شعب فلسطين ومعارضة قيام اي دولة فلسطينية ؛ لا فرق في ذلك بين من يسمون متطرفين من امثال اسحاق شامير وارييل شارون وروفائيل ايتان المنادين بترحيل الفلسطينيين من وطنهم جماعيا والانسحاب من مفاوضات السلام ، وبين الذين يدعون الاعتدال امثال رابين وبيريز والاحزاب اليسارية الاسرائيلية ؛ وقد اخذ الابعاد ابعاده الاكثر خطورة في كونه كشف عن مدى الاستهتار الصهيوني بالراي العام العالمي من جهة ، وبالقانون والشرعية الدوليين من جهة اخرى ، وذلك في وقت تمارس فيه الامم المتحدة ، بقيادة الولايات المتحدة الامريكية ، ما يمكن تسميته دور الشرطي الساهر على القانون والنظام في العديد من بقاع العالم ، والـذي يعمل على فرض القانون بالقوة عندما يرى أن الظروف تتطلب ذلك .

وقد شكلت عملية الابعاد حافزا ايجابيا لبلورة موقف عربي فعال قادر على مواجهة المخطط الصهيوني واحباط مراميه القريبة والبعيدة المدى .

وهذا ما برز في اطارين الاول لبناني والثاني عربي .

لبنانيا : اتخذت السلطة اللبنانية موقفا وطنيا صلبا ، جسد الوحدة الوطنية بأفضل صورها اذ عبر عن حزم لبنان في التصدي للمؤامرة الاسرائيلية . وتصميمه على حماية سيادته واستقلاله وامنه . وازرها في ذلك مختلف الاحزاب والقوى السياسية والروحية . رافضة السماح لاسرائيل باستباحة اراضي لبنان وتحويلها الى ساحة تصفي بواسطتها حساباتها مع الانتفاضة ، وتحرك لبنان على مختلف مستوياته وبكل قدراته الدبلوماسية لمواجهة الاجراء الصهيوني . فمنع المبعدين بموافقتهم وبالتشاور مع القيادة الفلسطينية والدول العربية المعنية ، من دخول ارضه واعتبر ان لا علاقة له بمأساتهم باي شكل من الاشكال محملا اسرائيل نتيجة اي سوء يلحق بهم . وسارع الى تقديم شكوى عاجلة لمجلس الامن الذي اجتمع يوم / ١٨ / كانون اول اي ثاني ايام الابعاد واصدر بالاجماع قراره الذي حمل الرقم / ٧٦٩ / ادان فيه الابعاد وطالب اسرائيل باعادة المبعدين الى ديارهم فورا وبشكل مأمون ، مؤكدا ان اتفاقية جنيف الرابعة تنطبق على جميع الاراضي الفلسطينية التي تحتلها اسرائيل بما فيها القدس . كما طلب القرار الى الامين العام للامم المتحدة الدكتور بطرس غالي ايفاد ممثل الى المنطقة لكي يتابع مع اسرائيل اجراءات تنفيذ القرار المذكور . وهكذا فقد اعاد لبنان كرة المبعدين الى الملعب الصهيوني .

عربيا : تلبية لطلب لبنان وبالتنسيق مع الاطراف العربية ، عقد اجتماعان طارئان في القاهرة . **الاول** : لوزراء خارجية الدول العربية المعنية بعملية السلام ، سورية ولبنان وفلسطين والاردن ومصر . وذلك يوم ٢٤ كانون اول الماضي **والثاني** : لمجلس وزراء خارجية الجامعة العربية وذلك يومي / ١١ و ١٢ / كانون الثاني ، وقد كانت المشاركة العربية الواسعة في الاجتماع الثاني دليلا على الاهمية الكبرى التي توليها الدول العربية لممارسات اسرائيل وتأثيراتها السلبية على عملية السلام ، وتأكيدا على عودة اللحمة الى التضامن العربي ونجاح الجامعة العربية في جمع اعضائها لمواجهة التحديات الخطيرة التي تواجه الامة العربية ، وقد دان الاجتماعان الاجراء الاسرائيلي . **واكدوا تضامنهم مع شعب فلسطين وانتفاضته وحقوقه الشرعية** ، وطالبوا مجلس الامن الدولي باتخاذ الاجراءات

الكفيلة باجبار اسرائيل على الرضوخ للقرار ٧٩٩ **كما حذروا من تاثير الموقف الصهيوني على عملية السلام .**

المستوى الدولي : لا شك ان الابعاد اثار موجة دولية واسعة من التعاطف عبرت عن نفسها في القرار / ٧٩٩ / وفي بيانات الاستنكار التي صدرت عن معظم دول العالم للاجراء الاسرائيلي ، ولكن الموقف الدولي ظل ولاسباب لم تعد خافية على احد ، مقتصرا على العواطف ومفتقرا الى آلية الردع والقمع ، فالولايات المتحدة لعبت دورا ضاغطا لتخفيف لهجة الادانة في القرار المذكور من جهة ، كما انها طمأنت اسرائيل بانها ستستخدم حق **« الفيتو »** لعرقلة اي قرار جديد يتضمن فرض عقوبات على اسرائيل ، وقد اثار هذا الموقف الدولي مرارة كبيرة في الوطن العربي ، وهذا ما اكد ان مجلس الامن بتوجيه من واشنطن يستخدم معيارين متناقضين ومقياسين متعاكسين .

وقد حاول بطرس غالي التخفيف من حدة المرارة العربية بارساله مبعوثين الى المنطقة وبتوجيه تحذير الى اسرائيل بانه **- اي مجلس الامن -** سيتخذ اجراءات حازمة ضدها اذا واصلت رفضها للقرار ٧٩٩ .

لكن التحذير والمبعوثين فشلا في تحقيق اية نتيجة ، واستمرت اسرائيل على موقفها الرافض لعودة المبعدين وتطبيق المزيد من سياسة العنف والابعاد وتحدي القرارات الدولية ، مع ان الجهود العربية والضغوط الدولية على اسرائيل استمرت خلال شهرين ولم تثمر سوى عن اصدار **قرار اسرائيلي اعرج ..** يقضي بعودة ربع المبعدين وتخفيض مدة الابعاد سنة للباقي بدل السنتين ، معتبرة ان ذلك تنفيذا لقرار مجلس الامن / ٧٩٩ / وتقف الولايات المتحدة مع هذا القرار وتعلن عن زيارة وزير خارجيتها الجديد **« وارن كرستوفر »** للمنطقة وحث رؤساء دولها المعنيين على استئناف مباحثات السلام مع اسرائيل .

طبعا المبعدون يرفضون تنفيذ القرار الاسرائيلي الاخير ومعهم الدول العربية .. والوزير الامريكي قام بجولته والقرار / ٧٩٩ / لا يزال ينتظر التنفيذ كغيره من قرارات مجلس الامن التي تتعلق بالحقوق العربية .

ويرى المبعدون ان موقف سورية **بقيادة رئيسها المناضل الرفيق حافظ الاسد** هو الموقف العربي الذي يجسد تطلعات المناضلين العرب وقد حملت رسائلهم الى الرفيق الامين العام هذا المضمون ومما جاء فيها : « ما ان بلغكم خبر ابعادنا حتى كان لكم موقف سيذكر لكم بحروف من نور في تاريخ امتنا المعاصر ، فلم تألوا جهدا ولم تغفلوا لحظة عن الدعوة الى ضرورة عودتنا الى وطننا واهلنا ، نحن في فلسطيننا جزء من شامنا الكبرى وان كان لنا وطن اصغر هو فلسطين ، فدمشق هي الرأس والرئيس ، وباقي اجزاء الشام بمثابة الجوارح ، نثمن مواقفكم المشرفة في دعمكم المتواصل لقضيتنا واصراركم على عودتنا فتلك المواقف وذلك الاصرار ينم عن الاصالة العربية وصدق المشاعر الوطنية وذلك واضح وضوح الشمس في رابعة النهار ولا شك بأن تلك المواقف الثابتة ستؤدي الى قطع الطريق على اسرائيل واغلاق باب الابعاد الى الابد .

كما اننا نستمد صمودنا واصرارنا وقوتنا من قوتكم وصمودكم واصراركم ويوم حاولت اسرائيل الالتفاف على قرار مجلس الامن رقم ٧٩٩ بتجزئة القرار بالسماح لمائة بالعودة الى فلسطين والباقي عودتهم بعد سنة اقسمنا الا نقبل بمحاولة الالتفاف على القرار المذكور حتى لا تلتف على باقي القرارات ، وقد اعلن رابين اذا طبقنا القرار ٧٩٩ فان المفاوضين العرب سيطالبون بتطبيق القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ .

وفي ختام رسالتنا نكرر تقديرنا وشكرنا لمواقفكم المشرفة والمشهودة من قضيتنا في حقنا بالعودة الفورية الآمنة الى وطننا وأهلنا واطفالنا واننا نعاهدكم أن لا نقبل عن موطننا فلسطين اي موطن بديل وألا نتراجع عن مواقفنا التي هي مواقفكم الوطنية المشرفة فنحن منكم ولكم ولن نكون غير ذلك ولن نغادر موقعنا حتى نعود » .

نشاطات ووثائق

منظمات الحزب داخل الوطن العربي

القطر العربي السوري

ذكرى الوحدة بين سورية ومصر

● اكد التعميم الصادر عن القيادة القومية مكتب الامانة في ذكرى الوحدة بين سورية ومصر عام ١٩٥٨ ان هذه الوحدة تعتبر من الانتصارات المباشرة التي حققها النضال العربي الحديث بعد تحرر الاقطار العربية من الاستعمار الغربي ، وكان من الطبيعي ان يجسد تحقيق هذه الوحدة قدرة امتنا العربية على الدفاع عن مصيرها ووجودها واستمراريتها .

وقال ان قيام ثورة الثامن من آذار عام ١٩٦٣ بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي جاء ردا على جريمة الانفصال ، وجاءت ثورة الثامن من آذار لتشكل القاعدة للنضال من اجل تجديد الوحدة مستفيدة من التجارب المستقاة من ظروف النضال في الماضي والحاضر وما تتطلبه من التفتيش عن صيغ وحدوية جديدة تقود الى تجسيد الهدف الكبير ، واصبح واضحا ان العثرات والنكسات قد شكلت فرصا جديدة لمضاعفة الجهود باتجاه الوحدة بين الاقطار العربية وجاءت الحركة التصحيحية عام ١٩٧٠ بقيادة الرفيق المناضل حافظ الاسد الامين العام للحزب لتكرس المفاهيم الوحدوية .

وعلى الرغم من كل ما حدث فان سورية مستمرة بالتمسك بشعار الوحدة وتعمل على تعميقه في النفوس العربية وجعله حيا على الدوام ، وخلق الظروف الملائمة للنضال من اجل تجسيد صيغة شعبية وطوعية للوحدة من جديد ، والعمل من اجل استعادة التضامن العربي الفعال الذي يخدم مواجهة مخططات الاعداء ويمكن جماهير امتنا من الدفاع عن قضاياها ومصالحها ويدفع النضال العربي على طريق الوحدة والتقدم .

كما اكدت المنظمات الشعبية والنقابات المهنية انها ملتزمة في نضالها مع جماهير شعبنا بقيادة الرفيق الامين العام للحزب الرئيس حافظ الاسد لتعزيز وترسيخ مفاهيم وقيم الوحدة باعتبارها مطلب جماهيري لامتنا العربية والذود عنها .

واوضحت المنظمات الشعبية والنقابات المهنية في بيان لها بمناسبة الذكرى الخامسة والثلاثين لقيام الوحدة بين سورية ومصر ان الوحدة العربية هدف استراتيجي وسيبقى مستمرا نضال حزب البعث العربي الاشتراكي من اجل تحطيم الحدود المصطنعة وبناء الحلم الذي طالما راود الرواد العرب الاوائل من اجل الوصول به الى واقع ملموس ..

واكدت المنظمات في بيانها ان قيام الوحدة العربية يلهب حماس الجماهير العربية ويعبىء قواها على امتداد ساحة الوطن العربي الكبير ويحدث نقلة نوعية في قدرة الامة لمواجهة التحديات والاخطار . .

القطر الفلسطيني

قضية المبعدين .. واستمرار الانتفاضة

● « صوت الطليعة » النشرة الداخلية للتنظيم الفلسطيني لحزب البعث العربي الاشتراكي تضمنت مجموعة من المواضيع التي تعالج احداث آنية تمر فيها القضية الفلسطينية ، وتصدرت قضية المبعدين اولى صفحاتها مع الدلائل والمؤشرات التي يتميز بها السلوك الصهيوني وكيف يتصدى له شعبنا العربي الفلسطيني في الاراضي العربية المحتلة من خلال ابطال الانتفاضة الذين يقضون مضاجع امنها واستقرارها ، وبيان عجز « اسرائيل » عن فرض او ترويج تصوراتها العنصرية الفاشية على شعبنا وجماهيرنا العربية ومعها كل القوى المحبة للسلام والحرية في العالم ، وتصميم هذا الشعب على تعزيز تلاحمه الكفاحي القومي مع ثورة البعث العظيم بقيادة امينه العام الرفيق المناضل حافظ الاسد مؤمنه ان التلاحم المصيري الفلسطيني السوري هو القاعدة الاساسية للبناء التحرري الشامل لانهاء الاحتلال واستعادة كامل حقوقنا الوطنية .

وفي دراسة عن المعطيات الجديدة حول الاوضاع العامة في الضفة والقطاع المحتلين نشرتها « حركة السلام الآن » الاسرائيلية اواخر العام الماضي ١٩٩٢ وهي تعتبر الاولى من نوعها حيث تضمنت خارطة سكانية تصنف التجمعات السكانية للمواطنين الفلسطينيين والمستوطنين اليهود فيهما واحصائيات لكل منهما ، كما تحدثت عن واقع المياه والارض والبناء ، كذلك واقع الاستيطان الصهيوني في

المناطق الفلسطينية المحتلة وكيفية افراغها من المواطنين الفلسطينيين لاستقدام المهاجرين الجدد وبناء المزيد من المستوطنات فيها .

القطر العراقي

● في العدد / ٦٧ / من « صوت الجماهير » الجريدة المركزية لحزب البعث العربي الاشتراكي في القطر العراقي نقرأ مجموعة مواضيع ذات اهمية لما فيها من تحليل وتسليط الاضواء على واقع القطر الشقيق ومايعانيه تحت قيادة نظامه الفاشي من تصاعد معدلات الجريمة اليومية وفرض سياسة التجويع والحرمان وخواء الاسواق وتخبط ابنائه بينما هو يدعي القوة والنصر .

وقد جاء في افتتاحية العدد ـ علامات مضيئة ـ مجموعة من النقاط نقلت من خلالها الصورة المعاشة لشعبنا هناك وكيف تتحرك القوى الفاعلة في التيار القومي الذي بدا ينشط في هذه المرحلة ويضع التوجهات المستقبلية لاسقاط هذا النظام محليا وعربيا ودوليا .

اما الملف الذي غطى معظم مساحات وصفحات العدد فقد تحدث عن اللقاءين اللذين تما في دمشق للتيار القومي والقوى المعارضة الفاعلة في العراق والتي استقطبت الشارع العراقي وصدرت عنهما ورقة عمل جديدة شكلت في مجملها ملف العدد كما تضمن خطوات العمل على ضوء الاحداث التي يعيشها العراق داخليا واستعرض الملف الاوضاع التي آل اليها العراق الآن .

واكد تمسك التيار القومي بالعمل الموجه وبالتعاون مع المعارضة العراقية الوطنية من اجل اسقاط النظام الدكتاتوري واقامة نظام ائتلافي ديمقراطي يحقق الحرية لشعبنا في العراق ووحدة اراضيه والقيام بدوره القوي في مواجهة الاخطار التي تهدد الامة العربية . .